سلسلة بناء الشخصية الناجحة

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الدراسات والنشرات

الوعي والادراك
(تكسير زجاجة الوهم)

تأليف
حسن علي الجوادي

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الدراسات والنشرات
كربلاء المقدسة
ص.ب (٢٣٣)
هاتف:٣٢٢٦٠٠، داخلي: ١٧٥-١٦٣

www.alkafeel.net
info@alkafeel.net

الكتاب: الوعي والإدراك (تكسير زجاجة الوهم).
تأليف: حسن علي الجوادي.
الناشر:قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة.
التدقيق اللغوي: مصطفى كامل محمود.
التصميم: علاء سعيد الاسدي.
الاخراج الطباعي: محمد قاسم النصراوي.
المطبعة:دار الكفيل للطباعة والنشر.
الطبعة: الأولى.
عدد النسخ:٢٠٠٠ .

شوال ١٤٣٧-تموز ٢٠١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

نحن ندرك بان رباً خلقنا، واودع فينا قوة جبارة تسمى العقل، فانه وِجِدَ فينا لننال الحقيقة ولنبصرها كما نبصر الاشياء بهذه العيون الزرقاء او السوداء الجميلة، واول وجودنا في هذه الحياة لا فكر فيه ولا معرفة، خلقنا الله ﷻ والذهن خالٍ من اي شيء، الا اننا مجبولون على الخير والحب، يقول تعالى في محكم كتابه المجيد: ﴿**وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[1] وهذه الآية تقر بأن الانسان يولد خالي الذهن يخرج من بطن امه لا يعلم شيئاً، لا الكره ولا الحقد ولا البغضاء ولا الشرور ولا الفسق ولا الفجور، كلها مدفوعة عنه بالفطرة السليمة التي قال الله عنها في كتابه الحكيم: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[2] فخلق الانسان محباً للخير والعطاء والعيش بسلام، ثم اذا كبر بدأ

(١) النحل: ٧٨.

(٢) الروم: ٣٠.

يأخذه وعيه وما تحيط به من مفاهيم وعادات وتقاليد، يتكون بها عقله ووعيه وتفكيره، ويصبح منقاداً لثقافته التي تشكلت من هذه القيم والمشاهدات الخارجية، والاشياء التي يألفها بطبعه او يرفضها بمزاجه، وبعض هذه العادات والتقاليد والموروثات صحيحة لا ضرر فيها بل من الضروري ان يتمسك بها الانسان لا سيما العقائد الحقة والقيم الاخلاقية والانسانية، وبها يقاس الانسان، وبعض تلك العادات غير صحيحة، تأتي نتيجة لترسبات وتراكمات يستلمها الفرد داخل اطار الاسرة او المجتمع، تبدأ تتشكل الرؤية لدى كل واحد منا من هذه المنطلقات السابقة التي ذكرتها، وهي تؤثر به تأثيراً شديداً، فيكون تفكيره محدوداً بالحد الذي قيده وبنى عليه مسبقاً، ولما لهذه القضية من خطورة كبيرة على حياة الانسان، ولما لها من اثر كبير في بناء شخصيته، أخذ هذا الاصدار من سلسلة بناء الشخصية بتحليل مسألة الوهم وبيان خطورته الى جانب ذلك بيان أثر الوعي الذي يكون ضداً للوهم، رفداً للإصدارات التي سبقته في بناء الشخصية.

مفهوم الوعي

هذه المفردة لها معنى عام غير مخصص بشكل دقيق، وكلفظة عربية ترجع الى (وعى يعي وعيا، أي حفظ حديثا ونحوه. ووعى العظم إذا انجبر بعد كسر، وأوعيت شيئا في الوعاء، إنّ الأصل الواحد في المادّة: هو حفظ مع احتواء، بأن يحفظ شيء بجعله في ضمن شيء آخر واستيلائه كالظرف. ماديّا كان أو معنويّا، ومن مصاديقه: حفظ العلم وجعله في القلب مستقرّا)[1].

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: الشيخ حسن المصطفوي، ج١٥، ص١٥١.

هذا في اصل اللغة والذي يقرب من المعنى العام الذي يستعمل فيه هذا اللفظ اليوم وقديماً، وقد يختلف استعمال اللفظ في الحقول العلمية تبعاً لكل علم، الا ان الاصل قد لا يحصل عليه اختلاف، وبعضهم يرى ان الوعي غير متعلق بعالم اللاهوت ولا يحق له ان يكون مرجعاً اليه، والبعض الاخر يقول هو مفهوم يرجع الى القضية الكبرى للإنسان وهو العقل، فالوعي جزء متفرع عن عالم العقل والادراك، وتختلف وجهات النظر في المعنى الدقيق والتعريف الحقيقي لهذا اللفظ، لكن يمكن ان يوضع تعريف للوعي بأنه: ادراكُ الانسانُ للأشياء ادراكاً عالياً محللاً ومستفهماً غير مستسلم، ويفهمها فهماً حقيقياً، غير خاضع للتغيرات والترسبات المحيطة به.

ويتنوع الوعي تبعاً للعلم والاضافة التي يضاف اليها ومن انواعه:

١. الوعي الاجتماعي: يتعلق بوعي الفرد مجتمعياً، اي مجموعة المفاهيم والتصورات التي تعلق في ذهن الانسان الذي يعيش في بيئة معينة، وما يحمله من فكر وثقافة عن المجتمع الذي ينتمي اليه، ويختلف هذا الادراك والوعي تبعاً للمكون المعرفي والثقافي لذلك المجتمع، من هنا يظهر اختلاف افراد المجتمعات فيما بينهم من نواحٍ عدة، على مستوى الادراك والوعي، فكل فرد داخل المجتمع يستمد

وعيه وادراكه الاجتماعي من نفس ذلك المجتمع بما يحمل من قيم وآراء ومعتقدات وعادات وتقاليد.

٢. الوعي الديني: الذي بواسطته يحدد الانسان اهمية الدين وكيفية اتباعه وقبوله، فالجزء الاكبر من الدين يعتمد على ذهنية وثقافة الفرد المؤمن، وكلها ترجع الى مدى وعيه وادراكه للقيم والمفاهيم الدينية، وهذا الوعي ليس سهلاً فهو لا يأتي عن طريق التقليد انما يتطلب صبراً ودراسة وتحقيقاً وذهنية تحلل المادة والخبر الذي تجده، ومن ثم يتحول هذا الوعي والادراك الى ايمان محض، كادراك وجود خالق لهذا الكون، فانه لا يأتي عن طريق التقليد، انما يدركه الانسان بنفسه ومن ثم يعي ما عليه من تكاليف بسبب معرفته لهذه الحقيقة.

٣. الوعي الاقتصادي الفردي او المؤسساتي: وهو عبارة عن ادراك الفرد او المؤسسة للواقع المالي وما يحيط به، وكيفية الصرف والانفاق والحبس للمال، والضريبة وانظمة الاقتصاد المختلفة، فليتعب احدنا نفسه بمتابعة اخبار الاقتصاد او قراءة بعض النشرات والكتب الاقتصادية، ليثقف نفسه ومن ثم تكون الثقافة امراً واقعياً له.

٤. الوعي الصحي: عبارة عن ادراك الفرد للنظام الصحي بشكل عام، من الاضرار والامراض والعلاجات والادوية، وطرق

تناولها ويظهر هذا الوعي عند الفرد من خلال توفير النشرات والارشـادات الصحية في البيوت والاماكن الخاصة، والاهتمام بالنظافة وتعقيم الادوات المستخدمة بكثرة، ومراقبة الاطعمة والاشربـة وحفظها جيداً، والفحص الـدوري الشامل للإنسان خشية تعرض احد اعضائه لتلف او بداية مرض، الى غير ذلك من صور الوعي الصحي.

٥. الوعي السياسي والوطني والامني: عبارة عن ادراك الفرد لحقيقة السياسة ومعرفة جوهرها وتقسيماتها وصورها وانظمتها المختلفة، كي يعي جيداً دور السياسي وبذلك يوفر النجاح في اختيار من يقلده ادارة بلده، وان يكون للفرد وعي وطني فلا يعمل لصالح بلد آخر ضد مصلحة بلده مهما حصل، والا يعد خائناً بحق بلد وشعب كامل، وان يدرك ما عليه من حقوق وواجبات كمواطن تجاه بلده، وكذلك ان يكون لديه حس ووعي امني فينتبه للحركات المختلفة والتحركات المشبوهة وان لا يتأخر في الاخبار عن المفسدين والقتلة والظالمين، فهذه ثقافة مهمة من الضروري ان يتحلى بها كل واحد منا، وهو وعي امني مطلوب عقلاً قبل ان يكون عرفاً وعادة.

٦. الوعي المعلوماتي: عبارة عن تسلح الفرد بالمعلومات

المختلفة والمفردات الدقيقة التي تستعمل في الحقول العلمية المختلفة، ويحصل هذا الوعي من خلال مراجعة النصوص المدونة في النظام المعلوماتي والمراجع العلمية والرجوع الى علم الكتب والمكتبات (الببليوجرافيا)، او الموسوعات العلمية الكبيرة.

٧. الوعي الشخصي: هو وعي الانسان بنفسه، ومعرفته بشخصيته، فيدركها جيداً مشخصاً عيوبه ومزاياه، معالجاً الفشل ومقوماً غيره، ومختبراً نفسه في مجالات مختلفة، ومتتبعاً أفعاله، ومراقباً أقواله، كل ذلك كي يقف على حقيقة مفادها الوصول الى الانسان الحقيقي، ولا يحصل هذا الامر بسهولة، بل يحتاج الى جهد كبير، وسنوات من التربية والتهذيب، بمراجعة المدارس الاخلاقية والنظم التربوية، وهذا النوع من الوعي هو المطلوب الاول والاصل الاصيل في حياة الانسان.

ان الادراك سواء اكان ادراكاً مادياً ام معنوياً وبطريقة التحليل ام الاستنتاج ام الاستقراء ام القياس[1]، فالمطلوب هو الوصول الى الحقيقة، وهذا الادراك بحاجة كبيرة للمعلومات المنطقية والنظم الدقيقة، فهنالك عملية شبه معقدة يتدرب عليها العاقل للوصول الى الحقائق، ومن ثم تصبح لديه القدرة الثابتة في شخصيته عندما

(١) يراد بالقياس هنا القياس المنطقي وليس الاصولي المنهي عنه.

يواجه اي شيء قابل للإدراك.

ويعد هذا المفهوم (الوعي) من اعقد المفاهيم وجوداً في حياة الفرد، فالبشرية اليوم بحاجة ماسة الى الوعي، لكن اي وعي؟ هل هو الوعي الامني ام الوعي الاقتصادي؟

الوعي الشخصي هو المطلوب الذي يهتم به الانسان لشخصه وتكميل نفسه، واصلاح ما فسد منها، وجعلها في مواطن الخير والعطاء، فيرفعه حيث يريد، فيطير به الى عالم الرقي والمثال الذي يتخيلها غيره من الآخرين الذين لم يصلوا اليه بعد، وغاية وجود الانسان ان يبقى انساناً محققاً الهدف الالهي من خلقه، مبتعداً عن الجنبة الحيوانية منتصراً عليها بقدرته العقلية وركيزته الفطرية.

لماذا الوعي؟

من النقاط المهمة التي على كل قارئ او دارس او باحث ان يكون منتبهاً لها هي حقيقة الاستفهام (لماذا)، فكل فعل يفعله الفرد يسأل عن الدافع او الرغبة، اي ان يجعل الاستفهام من الضرورات التي لا يمكن ان يتخلى عنها ابداً، فعندما يأتي القارئ لحقيقة الوعي اول ما يتبادر الى ذهنه لماذا الوعي؟

الوعي هو انتفاضة الفكر من سباته، وانتفاضة الجسم من كسله، وانتفاضة النفس من ركام الذنوب، انه عالم بحد ذاته.

لماذا الوعي؟ لان الوعي يضمن لنا العيش بسلام، ويضمن لنا العيش بطريقة صحيحة، الوعي يعني بناء شخصية الانسان بناءً صحيحاً ودقيقاً، الوعي يعني تكسير زجاج الوهم الذي يبنى حول افكارنا، ولذلك من المهم ان نتحدث كثيراً عن الوهم كي نصل الى درجة عالية من الوضوح وبذلك يظهر تأثير الوعي في حياتنا.

الوعي يعبر بنا حيث الفكر الخلاق والابداع والرقي الحقيقي، بعيداً عن الخيال الذي يصور لنا الحياة بمنظور آخر، بمنظار قد يكون جميلاً، يخدعنا ببعض الاشياء التي ننبهر بها، لكن شدة الوعي يؤدي الى ذوبان مفردات الخيال وانصهارها بنوره، يتخيل بعضنا انه يعيش في عالم من الالم والشكوى والفوضى، وبعضنا يشعر بانه يعيش في عالم من الحب والاحترام، وبعضنا يشعر انه يعيش في عالم من التعاسة والضيق، وبعضنا يشعر بالنسبية فهنالك الم وهنالك لذة، والبعض الآخر يختلف جذرياً عن الجميع فيقول بان الالم والمتعة شيء تابع لحالة الانسان وقلبه، وكل واحد له تصور، وله وجهة ونظر، وكل هذه التصورات والقضايا والاحاسيس والشعور تابعة الى الفكر والوعي الذي يتمتع به كل واحد، وهنا

نقطة الانطلاق نحو تأصيل مسألتنا، فمن الضروري ان نعرف السر وراء اختلاف وجهات النظر، ووراء الاختلاف والاهتمام وتعدد الكلمات والاقوال والآراء، السر وراء هذه الاشياء هو مستوى اعمال الفكر والتأمل والتعقل في الحياة، فالبشر يتمايزون بخصائص اهمها الجانب السلوكي الخلقي والتربوي، والجانب العلمي والادراكي، وقوة ادراكه ومستوى وعيه وثقافته، ولا شك ان وعي الانسان وثقافته مقدم على كل شيء عدا السلوك الحسن، فمساهمة الوعي ببناء شخصية الانسان مما لا يرتاب فيه احد، كل حركة في هذه الحياة بحاجة الى وعي وكل فعل يصدر من الانسان بحاجة الى وعي، وعندما تطرح موضوع الوعي فانك تعني به التدبر والتأمل والعبرة والاتعاظ، وان لا يُخدع الانسان مرتين، وان يصبح اليوم مختلفاً عن أمس، الوعي يدفع الانسان للتكامل، والوهم يدفعه للتكاسل، كل فشل ذريع يقع نتيجة عدم التخطيط المسبق، والهزائم المتكررة تقع نتيجة ضعف الرؤية، كل يوم يقدم لنا العالم مجموعة من تجارب الاخرين، لو نظرنا لكل تجربة خرجنا نحمل وعياً كبيراً، الذي يسير في هذه الدنيا دون وعي كالذي يريد ان يسلك طريقاً في ليلة ظلماء طوله ٢٠٠٠ كيلو متر، فيه تموجات وتعرجات وحفر وهفوات وجسور من نار، فاذا اردت ان تسلك

هذا الطريق ولم تتسلح بضوء الوعي فانك ستضيع في ظلامه وهفواته ودهاليزه المظلمة، من يعرف الوعي جيداً سيعرف أثره في حياته وقيمته الكبرى التي لا تعوض، فإننا خلقنا لنكون في اعلى درجات الوعي والادراك، فان الحياة كالبحر لا ندري اي موجة تغرقنا، وهذه الموجات هي آجالنا واعمارنا المحدودة، يدفعنا واقعنا ان نكون على دراية وفكر ونحن في خضم هذا البحر، نفكر في بناء سفينة توصلنا حيث نريد، نستوعب حركات المد والجزر، ونعرف متى تهب العواصف وندرس حالة الطقس جيداً فركوب البحر امر ليس سهلاً، واذا تركنا كل هذه الخطوات والقواعد ورحنا ننظر الى الاسماك والدلافين متأملين بحركاتها وجمال منظرها، وتعمقنا بالنظر الجمالي اليها، ونسينا اننا في البحر حتماً سنغرق ونغرق من معنا، حياتنا شبيهة بهذه الصورة، من جهات وحيثيات.

اذا آمنا بالوعي قائداً فإننا سنفوز في كل شيء وسننجح في كل شيء، احوالنا المتهالكة ستصبح على ما يرام، العمران والبناء والاقتصاد والامن وكل شيء سيصبح اكثر رقياً، فمن يتأمل في نجاحات الامم يجد ان الوعي كان حاضراً بدرجة ونسبة عالية، بأصنافه المختلفة، حركة يقودها الواعي تؤثر في المجتمع، وفعل يفعله الواعي يؤثر في الناس.

بإمكان الوعي ان يجعل حياتك أفضل، وكلما كنت اكثر وعياً ازدادت همتك للوصول الى الحقائق اكثر وكنت اكثر واقعية في هذه الدنيا، خذ مثلاً: شخصان يدرسان نفس المواد بنفس العقلية، لكن قصد كل واحد منها يختلف، كل واحد منهم يحمل فلسفة ما عن الدراسة ويحمل رؤية لسبب دراسته، بعد سنوات ستأتي وترى ان احدهم يختلف عن الاخر في نواح دراسية وعلمية كثيرة، اهمها: اختلافهما ثقافياً في موضوعهما، وكأن احدهم اعلم من الاخر بعشرات المرات، كل ذلك يعود سببه لرؤية كل واحد منهم، فان (س) المتفوق على (ص) كان يدرس من اجل العلم ويضع في مخيلته انه سيكون عالماً في يوم ما، بينما (ص) كان يدرس من اجل النجاح فقط، الوعي الذي يتمتع به (س) هو اعلى من وعي (ص) وبذلك اصبح مختلفاً عنه من هذه الناحية، ولعل (ص) يختلف عنه في الوعي من نواح أخرى، هذه ثمرة ان يكون الانسان واعياً، وقس ذلك على بقية المجالات، وتصور ان يكون الانسان واعياً بجميع اصناف الوعي واقسامه الكثيرة، سيدرك ماهية الحياة جيداً، سيكون رجلاً قوياً.

العلماء الذين ننبهر بعلمهم لديهم نسبة عالية من الوعي في اختصاصاتهم، وقد لا تكون نسبة وعيهم عالية في اختصاصات

اخرى، فقد تجده بارعاً في علم وبسيطاً في علم آخر، بل في بعض اقسام العلم جيداً وبعضها بسيطاً، مرجع الامر يعود الى ادراك كل العالم ومستوى وعيه وعوامل أخرى، وقد تلاحظ شخصين يعملان في مكان واحد ويختلفان في التطلعات وبعد مدة يسيرة تكتشف بان احدهما افتتح محلاً او بنى معملاً او افتتح شركة، ويمكن ان تنظر الى مثل هذه الظواهر بشكل كبير في العالم الذي يحيط بك، ستتوصل الى نتائج مهمة، بعضهم كان يحلم بان يحصل على وظيفة وبعضهم كان يحلم بحصوله على سيارة وبعضهم يحلم بان يصبح عالماً، كل واحد يحلم حسب وعيه وادراكه وفكره وظرفه، لكن الذي ينجح منهم ذلك الذي لا يضع حداً لحلمه يريد ان يواصل ويبدع وينجز، لا يتوقف ابداً.

يوماً ما سأل احد الاشخاص مدرسي فقال له: ايها الاستاذ هل اكملت دراستك العليا؟

قال له: نعم، قد انهيت الدراسة.

رد عليه السائل: يظهر انك ارتحت من هم الدراسة.

قال له: وهل تمل حلاوة العلم؟

رد عليه السائل: حسبتك انتهيت من العلم واراك متفرغاً

للعبادة.

قال له: اذا عرفت يوماً انني انقطعت عن العلم، فاعلم انني لم افهم شيئاً.

ان الحالة الفكرية والثقافية التي يعيشها ذلك الاستاذ تختلف كثيراً عن الحالة التي يعيشها ذلك السائل، اراد ان يوصل رسالة مهمة له ولكل سائل، بان الرؤية التي امتلكها هي من جعلتني اتمسك بهذا الواقع.

تأمل في مراسلات العلماء فيما بينهم وجد الفرق الواضح بين نقاشاتهم وردود افعالهم، فمن يكون متعمقاً منهم في علمه ولديه الثقافة الكاملة والوعي العالي ستجده اكثر ثباتاً واعظم اثراً حتى في نفس القارئ المتابع، وكذلك الصحفي الواعي تراه يهز نفسك ويؤثر فيها ويخلق من الشيء البسيط حدثاً، هنالك ضربات يفعلها بطريقته واسلوبه يجعلك تتأثر به.

من يترك الوعي فانه يقع في الوهم، فالساحر يقوم بأفعال متقنة يموه بصرك وسمعك، فيريك من الثوب الابيض حمامة بيضاء، ويحرك لك الكرسي الساكن عن بعد، كل ذلك يفعله وهو معتمد على سحر العين والسمع، اي يضرب على وتر الوعي، فاذا

زحلق وعيك البصري ونظرك تجاه الاشياء التي يفعلها استطاع ان يخدعك، هنالك اشياء كثيرة تخدعنا في حياتنا، سواء كانت مرئية ام سمعية ام عقلية، كل ذلك اذا غاب الوعي عنا، لذلك من اللازم ان يكون كل واحد منّا واعياً الى درجة عالية، وبثقافة كبيرة تساعده على العيش الصحيح.

اثر الوعي
في تكوين الشخصية الناجحة

الشخصيات المختلفة التي نراها امامنا اليوم جاء اختلافها نتيجة عوامل عدة، اعظمها وعي الانسان لواقعه وذاته، كلما عرف الانسان نفسه ووعاها جيداً اصبح انساناً ناجحاً نبيلاً، في النص المقدس المروي عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام: «**من عرف نفسه عرف ربه**»[1].

(١) شرح مائة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام: ابن ميثم البحراني(ت٦٧٩هـ)، ص٥٧.

هذا هو أثر معرفة النفس، ما اعظمه من أثر، فمعرفة اللهﷻ هي الغاية والهدف من وجودنا، وكل ذلك لا يأتي دون الوعي وهو حضور الانسان كاملاً يقظاً امام واقعه، ومعرفة كهذه كفيلة بان تجعل شخصيتنا اعلى واكمل الشخصيات، اذن يظهر التفاوت بين البشر بادراك كل واحد منهم نفسه، ومن ثم ادراكه ربه الذي يتفرع منه الالتزام والحب والطاعة، وكل هذه الصور تنتج التقوى التي يكون بها مائز انسان عن انسان آخر، فالوعي يعتبر المحرك الاول، منه ينطلق الانسان للتدبر والتأمل والتفكر، بل كل هذه الحالات التقدمية التي يمر بها تسمى وعياً، وقد نسمي الانسان المتدبر المتأمل المتفكر الذي سهر ليالي واياماً من اجل معرفة نفسه وشخصيته وواقعه بالواعي، فيعرف الانسان ساعات الخمول والضعف ومتى تؤثر فيه العاطفة، ومتى يكون مجاملاً، وفي اي ساعة يعود الى الله، ويكون مدركاً لوسوسة الشيطان، ويدرك جيداً اثر العاطفة في انتقاداته وتقييماته، كما يدرك عيوب النفس الكثيرة ويقف عليها جميعها، ويبدأ بمعالجة كل الاخطاء التي ارتكبها، كل ذلك يأتي وفق خطة يعدها لدراسة نفسه وتطويرها وتقدمها، فكل عاقل يسعى لتخليص نفسه من المساوئ والعادات السيئة والافعال التي ينبذها الشرع والدين.

ان نجاح كل شخصية عند بعض المجتمعات، يُقاس بما تقدمه للمجتمع مع كف اذاها عنه، وتنبثق هذه الرؤية من المنفعة والمصلحة فقط، وتهمل الانسان وروحه وبناء شخصيته والاهتمام بتكاملها، ورفع وعيها وتثقيفها، فالإنسان عندهم يختلف جوهراً عما يريده الدين الالهي، وجوده بنفعه وعدم ضرره، فلم يوجد انسان من أجل انسان، الهدف من وجود الانسان ان يكون وجوده لله ﷻ، فهو المالك والخالق، ولا يوجد رب تتبعه البشرية غيره، كل البشر مخلوقون لا قدرة لهم ولا حول ولا قوة، ما هي الا سنوات قليلة يعيشها الانسان ويذهب مهما كبر وعلا شأنه، الدين ينظر لكل انسان على حدة ومن ثم ينظر الى الجميع، من يذهب الى الله بذنوبه لا يشفع له قومه ولا عشيرته ولا فصيلته، فكل شخصية في هذا الوجود مطالبة بتغيير واقعها نحو الافضل على الدوام، فمن تساوى يوماه فهو مغبون خاسر؛ لان اليوم الذي يذهب لا يعود ابداً، وهذا التغيير لا بد وان يكون عن وعي وادراك، واذا بحثت في هذه الحياة عن افضل الشخصيات ستجدهم اولئك الذين كانوا على وعي عالٍ وفكر ثاقب، يطلق عليهم الناس لشدة وعيهم لقب الحكماء، اولئك الذين ينظرون الى الواقع من جوانب عدة، فاذا كانت لديهم مشكلة نظروا اليها من جميع جوانبها، وهذا هو سر تفوقهم، اما الذي ينظر

اليها من جهة واحدة، حتماً ستغيب عنه بقية الجهات التي تحمل تفاصيل كثيرة لها دخل كبير في فهم المشكلة او الحدث.

فان روح التدبر لا توجد في مجتمع دون آخر ولا التفكر بصورة صحيحة، ولذلك تجد احدهم يصدق بكل ما يسمعه، ويتفاعل مع كل ما يشاهده، وتنطلي عليه ابسط الاكاذيب، ويُخدع مرات كثيرة، فمستوى الادراك العام لديه ضعيف، لا يعني ان الخلل في العقل، انما المشكلة في تفعيل العقل وتحريكه، فكلنا نردد: الانسان مفكر، وهذه الصفة هي المائز بيننا وبين باقي المخلوقات، وبها تشرفنا على كثير ممن خلق الله ﷻ، وانت تلاحظ خطورة تعطيل هذه الصفة الى اي نتيجة تؤدي بنا، والى اي طريق توصلنا، وما الوعي الا ادراك ما يجب علينا، وادراك واقعنا، وتكميل نفوسنا وذواتنا وبناءها بناء سليماً صحيحاً خالياً من العيوب والرذائل الخلقية والتخلف والتراجع والهبوط.

١. الوعي يجعلك تنظم الوقت وتراه قضية ثمينة لا يمكنك التساهل فيها، يوفر لك الفهم الدقيق للوقت ويجعلك حريصاً وشديداً في التمسك به، فهو رأس مال الانسان.

٢. الوعي يجعلك تتقدم كل يوم نحو هدفك الذي رسمته من قبل، يحثك باستمرار، فتنجلي امامك كل الحقائق، وتتعرف على

الحياة بشكل صحيح ودقيق.

٣. الانسان الواعي والمدرك والعاقل هو من يتقدم في هذه الحياة، وغيره هو من يتأخر كثيراً، فانظر جيداً، واحسب الامور بحساباتها، ستجد صدق ذلك.

٤. الشخصية الحقيقة تجعل العقل قائدها في كل ميدان تدخل فيه، وتراه ضرورة لا يمكن التخلي عنها مهما كلف الامر، ولاحظ بدقة اولئك الناجحين تجدهم في مستوى عال من الفكر والوعي، ولا يهم ما يقال، فالحقيقة اولى من كل قول.

٥. يرفع الوعي الانسان قيمياً ومجتمعياً ويشار اليه بالبنان، لأنه حكيم يصيب الهدف ولا يخطئه، ويجعله يرى الحياة لا كما يراها غيره، وهذه فضيلة بحد ذاتها تعكس مدى اهمية الادراك في حياة الانسان.

٦. الوعي لا يجعلك تهدأ او تقف عند حدٍ معين، بل يدفعك لمواكبة كل حدث والاستغراق به بعيداً عن الوهم، وتحصيل المعاني العالية التي تكسب كل النفع للإنسان.

كي لا ننخدع (الوهم)

الوهم: هو العيش بفراغ وخدعة وقناعات غير واقعية وليست حقيقية، ومصادر نشوئه كثيرة جداً، بعضها معروف مشهور والاخر غير واضح للجميع.

والاخطر هو الجهل الذي يصيب الكائن البشري، فيهدم له التسلسل المنطقي والمعرفي الذي يجب عليه ان يحفظه، ومن ينظر عميقاً لأصناف البشر يجد الكثير من الناس لا يهمهم التفكير ولا التحليل، فهم يعيشون الجمود الفكري والعقلي، ينتظرون من الاخرين ان يفكروا بدلاً عنهم، ويأخذون كلماتهم ويعتقدونها او يتكلمون بها، في برامج (العاب العقل) اقاموا تجربة هامة اكتشفوا ان العمليات الخارجية التي يشاهدها الانسان تؤثر عليه، اي ان هنالك سلوكاً جماعياً يؤثر على قناعات الفرد ومن ثم يجعله يفعل كما تفعل الناس دون ان يسأل عن سبب الفعل، بعضهم يفسر هذه الظاهرة بالغريزة والبعض الاخر يفسرها بالتقليد وتأثير المجتمع بشكل عام، والتفسير الاقرب والامثل لهذه الظاهرة وما يشبهها هو غياب الوعي، واعني به غياب فكر الانسان وعدم انتباهه لحظة وقوعه في اسر هذه الافعال التي شاهدها، فلو انتظر قليلاً ولم ينخدع بنظره وراح يفكر جيداً لماذا انا اقلدهم في افعالهم؟ ما السبب الذي يجعلني افعل ما يفعلون؟ سيحصل على نتائج ايجابية واشياء لم يعرفها من قبل، كل هذا نتيجة تشغيل الفكر والعقل، حتى الكلمات التي ننطقها ما هي الا حروف اجتمعت ثم ترددت على السنتنا كثيراً، وكثرت وتعارف النطق بها بين الناس، فوضعوا لكل حاجة اسماً ولفظاً

يشير اليها وبعض الاسماء تمتد لمئات السنين، ولم يسأل احدنا يوماً عن علاقة هذا اللفظ بذاك المعنى او الحاجة التي وضع لها، كلفظة الوردة لهذه النبتة الجميلة التي نراها امامنا، والكثير من هذه الاشياء في حياتنا، لكن هل كل هذه الاشياء خاطئة ويجب ان نعيد النظر بها؟ كلا، بعضها ليست خاطئة، بل هي مطلوبة منا، فما المشكلة لو اتفقنا ان نسمي سيارة حديثة باسم ما او نطلق عليها لقباً شهيراً، هذه الحاجات لا تدخل كثيراً في وعينا واغفالنا عن الحقائق، لكن يحق لنا ان لا نغفل عن التسمية او سببها، لكن ليس من المقبول ان نغفل عن اخبار الاعلام او السياسة، ولا ندع مثل هذه الاشياء تلعب بأفكارنا وقناعاتنا، ولا نجعل من المهرجين مشهورين بسبب افعالهم التي تسعدنا او نبتسم لها، وبعضنا يتخذهم قدوةً له، في هذه الحالة وقعنا اسر الغفلة، في هذا العالم يُخدع الناس كل يوم؛ لأن العالم اليوم يعج بالفوضى والكذب والاستغلال والاحتيال، وقد نقع ضحية الاموال والشهوات والمناصب، تدار بعض افكارنا بواسطة رجال يسيطرون على العالم الاقتصادي او السياسي، ويقع المواطن اسيراً لهذه الاتفاقيات والنفعيات، يدخل ذلك في مناهج التعليم التي نتلقاها ونتزود منها معرفتنا، والمشكلة الاكبر ان المتضرر الاول من هذه العملية المنظمة هو الانسان الغافل غير الواعي؛ لأنه لم

ينتفع بشيء لا مادة ولا قيمة ولا شعوراً ولا احساساً، الخطورة تكمن في ادارة عقولنا وتضييع الفكر واهمال التفكير، حتى انك تجد ان العلماء الذين يهتمون بالإنسان وبفكره وطاقاته ويريدون له الخير لا احد يهتم بهم، فتركهم يتكلمون لوحدهم يُعد هجرة عنهم واهمالاً كبيراً، فيزرعون بذلك ثقافة الابتعاد عن هؤلاء ومن ثم رميهم بالتخلف والهمجية والرجعية، كما يعامل رجال الدين اليوم، فينتظر كل شخص ادنى زلة منهم؛ لان دماغه تشبع بأقاويل وافعال جعلته اسيراً للنظرة السلبية، فهو يرى هؤلاء من بعد نفعي او مصلحي لا غير، ويغفل عن حقيقة انهم بشر لهم ما للبشر وليسوا انبياء يصنعون المعاجز، فالتخبطات كثيرة جداً، ولا يلجأ الكثير من الناس الى قانون يعصم اذهانهم من الخطأ، ولا يحبون ان يُطوروا انفسهم، كأنهم يسكنون كوكباً آخر، وجودك في هذه الدنيا يجعلك تكتشف الحلول لمشاكلك الكثيرة، في هذه الدنيا لا تكمن الراحة ابداً، والهدوء شيء نسبي ومتباين المفهوم، ولا استقرار ابداً، كل واحد منا ينظر لمن حوله، اذا كان غنياً اليوم اصبح غداً فقيراً، وان كان صغيراً صار كبيراً، وان كان حياً اصبح ميتاً، لا استقرار ولا توقف في الارض، كوكبنا يتحرك فلماذا نحن نتوقف؟ فان هذا الوقوف يشكل جزءاً من الوهم الذي يتركه الزمن في اذهاننا، هذا

الوهم بدوره يشكل ضبابية كبيرة تغطي مساحة الرؤية الحقيقية، فنكاد لا نرى الاشياء بواقعها الصحيح، فما اخطر الوهم، وما اشد الخطر الذي يتركه في الناس.

مصادر الوهم

بعد ان تتصارع مع الحياة في ظروفها القاسية، عليك ان تحدد موقفك تجاه حقائق الكون، واخطر واصعب مرحلة واعمقها تلك التي تجعلك تختار ديناً وفكراً تعتقد به.

وبعدها كيفية العيش مع ما يريده منك ذلك الدين الذي اعتنقته، فكلنا يعلم بان الدين شيء وتطبيقه شيء آخر، الى جانب ذلك فان الحياة لم تنتهِ بعد، المصالح والمدارس والاستعمار والاعلام والسياسة والاستكبار والصناعة والتكنولوجيا والاقتصاد، كل هذه العناوين اصبحت الشاغل الكبير للبشر، كل واحدة من هذه الاسماء ترفع من مستوى الوهم لدينا، وكل مؤسسة تعمل وفق النفعية التي تريدها، اما البشر فما يزالون قيد الاهمال، ولا تغرنا تلك العناوين التي ترفع من قبل المؤسسات مدعية الاهتمام بالبشر والفقراء والناس البسطاء، فالحالات المختلفة تدل على كذب هؤلاء، وما يهمهم هو بقاء سلطتهم ومصالحهم، كالذي يصنع السيجارة ويكتب عليها: التدخين يضر بالصحة ويسبب السرطان، ولو كان صادقاً لأوقف هذا الوباء، الشعارات هي ايضاً جزء كبير من الوهم الذي يسود العالم اليوم، هنالك خطط مدروسة لاستغباء الناس والهائهم وجعلهم يعيشون في سبات عقلي وفكري، ومن يتابع السياسة العالمية يشاهد ذلك بوضوح، وهنالك دلائل كبيرة على خلق الوهم والتصرف بعقول الناس لا ارادياً، واخذ ما يمكن اخذه من الناس، فالعَالَم مدينة عميقة فيها العَالِم والجاهل والغني والفقير والصادق والكاذب، وبه الحيل والخدعة اكثر من

الصدق والنصيحة، فالحذر اشد من حسن الظن، ووفق هذه القراءة الواعية لواقعنا يظهر بان هنالك مصادر للوهم واعني بها العوامل المباشرة وغير المباشرة لإيقاع الناس في الوهم وابعادهم عن الوعي والحقيقة.

اولاً: الجهل

ان الجهل قاتل وقد حذرت منه النصوص الدينية بشكل دقيق ونبه عليه العقلاء والحكماء، وكل واحد منا يستطيع ان يكتشف خطره، ويعتبر الجهل اكبر مصدر للوهم؛ لان الوهم يتركب من اجزاء عدة، اكبر هذه الاجزاء هو الجهل، فعندما يخدع الانسان بصحة قضية ما، وعندما يفسر له بان الاحتلال هو انقاذ، وعندما يفسر له بان الحب هو تملق، وعندما يدافع عنه شخص يكرهه في سبيل ايقاعه في الفتنة، كل هذه الصور تسمى جهلاً بالنسبة للشخص الذي تنطلي عليه، لا سيما وان الجهل يتخذ جهات عدة، فلا يكون في المعرفة الكلاسيكية فقط، انما في الفيزياء وقوانينها والكيمياء ومعادلاتها والقوانين والرياضيات وحساباته والاعلام والصحافة والسياسة وازقتها ونظم الحياة المختلفة، فالشخص الذي تكثر معرفته في اشياء عديدة يقل جهله ويزداد وعيه اكثر في الحياة، فكل جانب من هذه الحياة له اثره في وعي الانسان، فالناس الذين

تنطلي عليهم الخدع التي يقوم بها المحترفون في الالعاب والخدع البصرية ما هي الا خفاء الاسباب على المخدوع ولو قرأها جيداً وعرف اسبابها لم تنطلِ عليه ولما اصبحت تخدعه، خذ هذه الحقيقة البسيطة وانطلق بها في اغلب الشؤون والقضايا التي نعيشها، ولا يكون الجهل في الجانب الفردي فحسب بل قد يكون دولياً فلا تعلم دولة ما يدار عليها وما يحاك لها، وغياب وعيها سيجعلها تطرب وهذا جهل يوهم الانسان معه ويصبح الانسان به فقيراً للوعي مكتسباً للوهم، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أعود من العقل**»[1].

ان غنى الانسان هو العقل، والجهل فقر شديد، يتعب الانسان كثيراً ويأكل سنواته ويضيع عمره، والجميل ان النص الديني اعلاه وصف الجهل بالفقر، وهذا الفقر ليس مادياً انما هو فقر معنوي وفقر حالي وذاتي، فقيمة الانسان بما يعلم ويعرف ويؤمن ويتخلق، وهذه الاشياء كلها تتنافى مع الجهل، فلا يقال للإنسان المؤمن التقي البصير جاهلاً، ولا يريد الله من عباده ان يصبحوا في سبات بلا وعي ولا علم ولا دراسة ولا عمل، فالبصير لا يساوى بالأعمى، ولا ريب ان الجاهل اعمى، يقول ربنا عز وجل في كتابه: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي**

(١) الكافي: الكليني، ج١، ص٢٦.

﴿الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[2]، مجموع هذه القضايا توصلنا الى حقيقة ناصعة هي ان للجهل مضاراً كثيرة، ولا تقع على وتيرة واحدة، وبالتالي فان الجهل يكون احد مصادر الوهم التي تشكل الجزء الاكبر في غياب الرؤية الصحيحة عند الانسان.

ثانياً: الجمود

خلق الله الانسان واودع فيه طاقة كبيرة وزوده بالجوهرة الثمينة (العقل) وجعله كائناً مفكراً وبذلك امتاز عن بقية الكائنات التي يعاصرها، فوظيفة العقل ان يكون محلاً للتحليل وبيتاً لصناعة القرار، ومن يوقف هذا المعمل والمصنع للفكر فقد جمدَ وتراجع، فالرقي بالعقل لا بالجمود، فعدم الحِراك يؤدي الى زرع الكسل في النفس، واذا نما تفرع واصبح شجرة يصعب اجتثاثها من الاصل، عندها يكون الجمود مصدراً من مصادر بث الوهم في عقولنا، فالإنسان الذي لا يعلم شيئاً ولا يريد ان يواكب الحياة ولا يسأل ولا يستنتج لا يكون واعياً ابداً، فالعقل مصدر مهم من مصادر المعرفة لدى الانسان اذا توقف يعني ذلك ان المعرفة في حالة متدهورة، والتفكير

(١) الانعام: ٥٠.
(٢) الزمر: ٩

هو المحرك للإنسان والذي بواسطته يميز كثيراً من الاشياء، فلم يعد العالم اليوم ذلك البيت الصغير الذي يعلم الانسان عنه كل شيء، الحياة تتقدم كل يوم، المعارف في توسع والعلوم في ازدياد، والمدارس كثيرة، فالعالم اليوم مرعب وخطير للغاية، ان لم تكن واعياً بما فيه الكفاية اكلتك جنود الظلام والجهل، اذا لم تتقدم معرفة وعلماً وفكراً لا تعد من الواعين، ضع خطة ترسم بها طريق الوعي، عليك بالحركة والفكر، فكر في كل شيء، لا تتوقف عن التأمل والتفكر، ولكي تعيش بصورة صحيحة البس رداء العلم، وحب الفكر، فالانسان دون عقل وفكر لا قيمة له، فقيمة الانسان بفكره وعقله، بما ينتجه ويقدمه، يرتقي بالقيمة الخلقية والسلوكية، وهذه الاشياء لا ينتجها الانسان الجامد، الحركة ليست عيباً العيب هو الخوف الذي لا يجعلك تنطق اي كلمة، فعندما تثار قضية ما امامك لا تبقَ جامداً، خذ موقفاً، ولا تتقبل الاشياء دون فكر ومراجعة، فالكفيف يكتفي بالسماع، والذي لا يتكلم يكتفي بالكتابة، والسليم لا يكتفي بشيء حتى يتبين له الحق، وهذه مشكلة كبيرة وهي متوارثة من زمان بعيد، عندما تعرض علينا قضية نصدقها بكل سهولة، وعندما يتحدث شخص كأنه يأخذنا لعالم آخر، ننخدع بكل سهولة، كل واحد يأتي ويتكلم معنا ويعطي الوعود، ونسمع الكلمات من هنا

وهناك، وتضيع الحقائق بين هذه الكميات الكبيرة التي تلقيناها؛ لأننا لم نضع قانوناً في قبول المعلومات، ولا حتى في مناقشة القضايا، عندما يأتي شخص ويخبرنا عن شخص اخر، يجب علينا ان نطالبه بالدليل اولاً ومن ثم نتحقق من صدق هذا الشخص او كذبه، يقول ربنا عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾[1]، يبث فينا القرآن الحكيم روح البحث وعدم التسرع في الحكم، اعرف القضية من كافة ابعادها، لا تصدقها كل الصدق ولا تكذبها كل الكذب، تأنَّ في قبولها، واعرف الحقيقة جيداً ثم احكم بعد ذلك، خطاب القرآن هذا يدفعنا للرقي في التعامل مع القضايا والاحداث المختلفة، هو لا يريد الجمود ولا يتمناه لنا ابداً، اذن الجمود هو تخدير للتفكير ونتيجته هو ايصالنا الى وهم كبير ووضعنا في حرج اكبر، وبذلك يكون احد مصادر الوهم.

ثالثاً: التوارث والتقليد

التقليد والتوارث ليسا ذنباً نرتكبه، ولا خطأ كبيراً، وليس التقليد مذموماً على الاطلاق، فالتقليد في العادات الصحيحة والاشياء النافعة امر صحيح لا كلام فيه، انما الكلام في التقاليد

(١) الحجرات: ٦.

التي ترجع الانسان القهقرى وتكون عاملاً من عوامل الوهم، فهنالك اشياء كثيرة نراها امامنا ولا نسأل يوماً لم هذه الفكرة او هذه القضية موجودة، او لمَ تفعل الناس هذه الافعال، لمَ يشتهر هذا اللفظ دون غيره؟ اشياء كثيرة لا يمكن ان نقف عندها كلها، فنرى افعال البعض ونفعلها دون ان نسأل او نستوقف للحظة واحدة، فكل ما نسمعه يؤثر فينا، وما نشاهده نتعلم منه بصورة كبيرة، المشاهدات والمسموعات تؤثر فينا بشكل لا يصدق، ثقافتنا تبتنى على هذه الاشياء، في مرحلة الشباب تلاحظ الانسان يقلد المشاهير، الصور والاشياء الجانبية تؤثر فيه، هو يظن ان هذا الذي يراه كل شيء، وقد يجد ذلك عن طريق التلقين، خذ مثلاً مسألة دفن البنات في زمن الجاهلية، اذ كان من المتعارف عند الناس في تلك الايام ان البنات عار، فاذا ولدت للرجل بنت قام بدفنها؛ لانها تجلب له العار، او لأنها لا تنفع في قوة القبيلة، فكان كل واحد منهم يفعل هذا الامر دون ان ينتبه اليه او يفكر فيه، كل ما عليه ان يقلد القبيلة، فتقليد القبيلة في افعالها هو العنصر السائد، هذه الحركة الاجتماعية والنفسية ظهرت منذ القدم، فالتقليد والاتباع دون وعي مسبق عميق الجذور، لم يكن يحصل في تلك الازمنة فقط بل الى اليوم، فهو يحصل عند غياب الوعي، وذوبان الانسان في التطبع الاجتماعي،

ويمكن تلخيص ذلك بما يلي:

١. ثقة الناس بالرئيس او المسؤول لا سيما اذ صدر الفعل منه او قنن القانون وشرع الشريعة، فالاغلب يتلقى الامر وكأنه وحي، وهذه الحركة نابعة من انعدام شخصية الانسان، حيث يرى كل فرد من افراد القبيلة انه ذائب في القبيلة بكل سلبياتها وايجابياتها.

٢. الاحساس بالانتماء والتحزب للامة او الملة او الحزب، فلو اصدر الرئيس حكماً بالقتل، ترى الناس لا تسأل كثيراً عن اسباب تشريع هذا الحكم من قبل الرئيس، لا سيما اذا كان المحكوم عليه خارج مملكتهم او حزبهم، فالرابط المشترك هو التكوين والاشتراك داخل هذه الامة، الذي يولد الشعور بالرفعة عند الافراد الذين ينتمون للقبيلة او الحزب، فالجامع المشترك له سحره الخاص على قلوب وعقول افراد الحزب الضعفاء.

٣. الانصهار داخل الجماعة، وتأسيس عقلية الانضواء تحت راية الجماعة حتى وان كانت خاطئة وقد عمل عليها الحكام والسلاطين وقد ساعدت بعض الفرق الاسلامية هذه الفكرة واعطتها الشرعية، كاختيار الحاكم ونصرته حتى وان كان فاسقاً، بينما رد أئمة اهل البيت عليهم السلام مثل هذه الافكار، فلا احد يقود الناس كيفما كان وباي صورة، لكن الذي حصل عكس توجيهات

الائمة الطاهرين، وعمل الحكام والسلاطين على بسط نفوذهم وتهميشهم للناس والى اضعافهم وترسيخ مبدأ الطاعة للسلطان مما يسبب التخلف الفكري والثقافي للفرد وضياع الحرية والتعبير عن الرأي، هذا العامل يشكل ازمة كبيرة امام وضوح الرؤية للفرد داخل الجماعة.

الاشياء التي نفعلها غالباً ما تقع تحت تأثير التقليد، الابن عندما يدرك الاشياء لا ينظر الا الى والديه، يتعلم منهما كل معالم الحياة او بعضها، الاشياء التي يدركها للوالدين نصيب كبير فيها، هو ينظر الى الاشياء من زاوية بسيطة، الاب يشرح له المواقف فيبدأ بفهم ما يريده منه، ثم تأخذ المعلومات تتوسع ومداركه تتفتح اكثر فاكثر، من طريقة شرب الماء الى ارتداء الملابس، الى ان يصل الى تقليده حتى في طريقة التفكير، ثم تتكون عادات وسلوكيات خاصة بالطفل يقع تأثير التطبع بنسبة متوسطة والذي هو ايضاً قد تعلمه من محيطه العائلي او المدرسي، في هذه الاحوال يبدأ بفهم الحياة جيداً، ثم ينضج فكره، حتى اذا قطع اشواطاً كبيرة من الدراسة صار رجلاً ومفكراً، وعند مرحلة التقليد تتضاعف عنده الرغبة في التقليد، لا للتقليد نفسه، انما لمواكبة الحياة والشعور بالانا، حيث تنمو الافكار لديه بالانفرادية والشعور بالشخصية

وتضخم الانا، هذه المشاعر لا تنفك عن الاحتياج الى ما يشبعها، لذلك يجد كل واحد من المراهقين ضرورة الانتماء الى جهة معينة يرتبط بها، ويتكون لديه شعور بالكبرياء مع نرجسية واضحة، ثم تدفعه رغبة التميز عن الاخرين، فيبذل جهداً كبيراً في هذا المجال، وهذه المطالب لا يمكن ان يقدر عليها كلها، فيلجأ للتقليد، فينظر لمن في عمره كيف يلبسون وكيف يقضون اوقاتهم، فترى ان افراد هذه المرحلة يتشابهون في اشياء كثيرة، ولا يشعر ان كل واحد منهم يقلد الاخر، وتشتهر عندهم ابسط المفردات والافعال، حيث تطغى السطحية والافكار البسيطة والافعال الساذجة على واقعهم في هذه الفترة، فليست الرفقة لوحدها العنصر الفعال في انحراف الشباب او اندفاعهم للخير، انما المحيط العام الذي يعيش فيه الفرد له أثره ايضاً، فهو يفعل ما يراه مناسباً وفق محيطه، ثم يأخذ بالتدرج نحو مرحلة الرجولة والمسؤولية، وفي هذه المرحلة يصب الرجل اهتمامه في اشياء تكميلية واشياء تدفعه للظهور كرجل مثل الحرية الشخصية وابداء الرأي وارتفاع درجة الكبرياء؛ لأنه يرى هذه الاشياء هي التي تميز الرجال من حوله، فيسعى لتقليدهم من حيث لا يشعر، وهذه الرؤية قد تكون مشاهدة بالعين وقد تكون عبارة عن تلقين اجتماعي اذ يتفق المجتمع على عادات واشياء تفعلها الناس في

مختلف مراحل حياتهم، فيجد الرجل نفسه مقيداً بعدة قيود بعضها تفرضها الحياة الانسانية والبعض الاخر يقره الشرع والعقل، وبعضها الاخر لا يقبل به الشرع والعقل، وتختلف هذه العادات من جيل الى جيل ومن محيط الى آخر، وغالباً هذه الافعال ما تتسم بالتناقض، فهو يتأثر عند مشاهدة طفل صغير يتألم من الجوع بينما تأخذه الحمية اذا غارت عشيرته على عشيرة أخرى فيضرب ويشتم ويقتل دون سبب، وكذلك يتفاعل مع المناسبات المختلفة فيهنئ امه بمناسبة عيد الام او عيد ميلادها، ثم يصرخ عليها في وقت آخر، وقد يمدحها في مواقع التواصل وفي الواقع عكس ذلك، هذه افعال مزدوجة، ويمكن لنا تفكيكها الى التالي: التناقض يعني عدم المشابهة بين الفعلين من حيث النتيجة، فاحترام الوالدة وعدم احترامها بينهما اختلاف من حيث النتيجة، فيؤمن الشخص بأحدهما ويقلد في الاخر، فمثلاً هنالك فرد لا يحترم والده بواقعه الفعلي فتراه يتكلم مع اصدقائه عن حقوق الاب ومنزلته، فيأخذ بالحديث عن الاب وحسنه وبركته وفضله، فقوله يتصادم مع فعله، ففي اقواله مقلد للمجتمع او لمن تأثر به، من هنا تنشأ الازدواجية، وعلى ذلك يمكن لك ان تقيس الدوافع والافعال المختلفة عند الناس جميعاً، والجدير بالذكر ان الانسان لا يرضى بان يقال له انك مقلد غيرك، ولعل

غيره مقلد لشخص آخر وتصبح سلسلة طويلة، واذا انتبه الانسان لهذه الحالة وفهمها جيداً سيغير اشياء كثيرة في حياته، انطلاقاً من افعاله واقواله الى افكاره وارائه، فبعض التقاليد تتسرب الينا عن طريق المشاهدة وبعضها عن طريق التأثر وبعضها عن طريق الافكار وبعضها عن طريق الاعجاب، فاذا كان للتقليد هذا الاثر الكبير في سلوكنا واقوالنا، فكيف به في فكرنا؟

الانسان الذي يقلد في الفكر قد سعى الى تعطيل عقله ودماغه الذي يبلغ عدد خلاياه ١٠٠ مليار خلية، اي يستطيع ان يحفظ فلماً سينمائياً بمقدار ٣٠٠ مليون ساعة، تصور ان الله خلق لنا هذا الدماغ الكبير وهذه المعجزة العظيمة فنقوم بتوقيفه وتعطيله، والجدير بالذكر ان الآيات القرآنية تنادي الى العقل والتعقل وترفض سنة التقليد الباطلة، وتدعو للفكر والتفكر.

ان الله تعالى يريد الانسان بصورة المفكر العالم المتأمل الذي لا يتبع ولا يسير خلف الآخرين الا وبيده نور يميز به الطريق جيداً، فمسيرة الحياة كالطريق كل واحد منا يريد له هدفاً ومستقبلاً قد رسمه، والطريق مظلم، ولا اداة لإنارة الطريق سوى العلم والفكر والعقل.

٣. الثقة المطلقة: لا شك ان الانسان بحاجة الى ان يثق

بالآخرين لأسباب كثيرة لا يمكن ادراجها هنا، لكن الافراط بها امر غير صحيح بالمرة، فان الانسان الذي يظن نفسه معتمداً على جدار من الحديد سيغض الطرف وينام مرتاحاً، لكنه سرعان ما يندم اذا هوى به ذلك الجدار فثقته لم تكن في محلها، وتأتي الثقة كعامل مساعد للإنسان، تسانده في مسألة التفكير واخذ القرار والجدية المتعبة في الحياة؛ لأنه يعامل اصنافاً كثيرة من البشر في اليوم الواحد، فيلجأ الى الثقة او عدم الثقة والاستغراب في احدهما غير صحيح، بل الامر نسبي، الثقة توقف التفكير وتهدم الحكم العقلائي، فقد يثق الانسان في الاعلام او السياسة او الدولة او المؤسسة النفعية، وقد يثق بمجموعات غريبة، كما حصل لبعض الناس الذين تاجروا بأموالهم شراكة مع شركات وهمية سرقت الاموال فيما بعد، حيث وقع اولئك الافراد أسر ثقتهم، وغالباً ما تولد هذه الاحداث كرد فعل غير صحيح فيتخذ بعض الناس قرارات مفرطة تدخلهم في اخطاء كثيرة.

صُنَّاع الوهم

ربما يخطر في ذهن احدنا شيئ يخص صناعة الوهم، بعدما تعرف على مصادر الوهم، يتحول هـذا الاخطار في الذهن الى سؤال واقعي هل ثمة اشخاص او مؤسسات تصنع الوهم؟

لعل السؤال يحمل خطورة، ولربما يحتمل فلسفة غامضة، لكن الحقيقة اولى من كل شيء، ومن الضروري ان يجاب عن هذا السؤال هنا، واغفال الاجابة غير منطقي.

صناع الوهم عددهم غير محصور، اسماؤهم غير محددة ولا مؤشر عليها، لا توجد في العالم لائحة بهذا العنوان، وهذه الصناعة يمارسها خلق كثير، قد تمارسها منظمات او مؤسسات او دولة او حكومة ضد شعبها، او ملك ضد اتباعه او مسؤول ضد مرؤوسيه، هي ممارسة يحسبها البعض مشروعة ولا بد منها، وقد تأخذ مسميات واصطلاحات مختلفة، لكن النتيجة واحدة، وغالباً ما ينشأ تعدد المسميات والاصطلاحات تبعاً للرؤية والجهة المقصودة، وذلك لا يضر.

هل هنالك فائدة من صناعة الوهم؟

العالم اليوم منفتح وواسع وفيه وضوح كبير لمن يريد ان يرى، وفيه غموض كبير لمن يريد ان لا يرى، ولا شك انه غامض من جهات اخرى ايضاً، فهنالك اشياء تحدث في هذا الكون تعطينا دلالة على خطورة ما يجري والانحدار الذي وصل اليه العالم، رغم التقدم التكنلوجي الكبير، وهذا الانحدار يحمل اخطاراً كبيرة، والامم التي لا ترتقي للمعرفة والحكمة ستكون ضحيته بالتأكيد، ولا ادري كم حجم الخسارة التي ستخسرها هذه الامم.

هذه الامم تخدع كل يوم، فالذين يصنعون الوهم يخدعون الامم والانسانية كل يوم، القاتل الذي يعطي ألف دليل على صحة فعله هو من يصنع الوهم ويبثه في كل من يتأثر به ويصدقه، ولكي لا ترتقي الامم يقوم الكثير بصناعة الوهم، محطات كثيرة تبث من اجل اشاعة الجهل والوهم والخوف، محطات ومراكز لإشاعة الفوضى، ونظريات وكلمات لإعادة الجهل الى البشر، الكبرياء لدى الحضارات يقتل بعضها البعض، كبرياء الحضارات الصناعية اليوم يذكرنا بكبرياء الحضارات القديمة، الحضارات الحربية الدموية التي انهكت البشرية لسنوات طـوال، كانت في السابق تسمى أمماً، فيما بعد اطلق عليها الحضارات، وكم من أمة ظالمة لا تحب

أمة أخرى، لو تتبعنا التاريخ جيداً لوجدنا كم سعت الامم في تغيير ملامح الانسان الحقيقية، وكم بذلت من اجل محو الانسان من على الارض، نرجع قليلاً لقراءة حضارة فرعون، كيف صنع هذا الرجل المتكبر الوهم، وكيف اغرق الناس في ظلمات لا حد لها، اي درجة وصل لكي يجعل الناس كلهم مرتبة واحدة وهو اعلاهم لا احد ينطق سواه، اسس نظام الجبروت البشري وجعله سنة لمن بعده، لقد صنع الوهم عندما وضع نفسه موضعاً لا يليق بها، لقد سفه عقول الناس واحتقرهم بذلك الفعل، واذا تخطيت فرعون الى غيره ستجد الوهم ايضاً، والى يومنا هذا، انظر للحروب التي اشعلها رجال السلطة وعشاق التوسع الاقتصادي، ان كثيراً من المتفرعنين لا يريدون الخير سوى لأنفسهم، ولا يحبون الناس عندما تحضر المصالح الشخصية، فـ(تجري في ظل الهيمنة الحالية لأنموذج العولمة الليبرالي الجديد قولبة منظومة القيم، وفق منظومة القيم الغربية وتضخ لاجل ذلك تياراً قوياً منظماً من المعلومات نحو الناس وبالتحديد الشباب عبر اجهزة التلفزة والانترنيت ومختلف وسائل الاعلام الجماهيرية وعبر نظام التعليم نفسه، ويقوم مالكو وسائل الاعلام عبر وسائلهم تلك بخلق احتياجات ومتطلبات سلعية وخدمية وبترسيخ تقييمات سياسية وطموحات ايديولوجية

تخدم مصالحهم الخاصة، وهكذا تظهر اجيال من الناس لا تعرف شيئاً عن تاريخ دولتها وشعبها والبشرية، أجيال محرومة من الثروة الثقافية والقومية، ومن الخصوصية الحضارية مغمضة العيون..)[1]

والافـراد الذين لا يسعون للعلم ولا يبحثون عن الحقائق والمعارف يقعون ضحية هذه الصناعة الكارثية، والنص اعلاه كتب بأيدٍ غربية، فهم يكشفون خطر ما يجري بعنوان الحضارة واشياء خدَّاعة، والحقائق التي يحملها النص غير خافية على الكثير من المتتبعين وقد يشاهد بعضها من له ادنى تأمل، ان حسن الظن في هذه الموارد غير مطلوب، فالحذر واجب جداً في مثل هذه القضايا، لا يمكن ان يعيش الفرد في هذا العصر وهو يثق بكل شيء، يثق بما يسمع وبما يراه وبما يحدث، ضرورة التأمل والحذر ملحة جداً، بعض المؤسسات تعمل على تجارب كثيرة من اجل ايقاع الناس في الوهم كل ذلك السعي ليس لخدمة البشر فاكبر اهانة ان يوضع الانسان في الوهم والخداع، هذا الوهم من اجل البقاء.

البقاء مشكلة كبيرة والخلود قضية يبحث عنها الجميع، والامبراطورية كيان كبير وعنوان براق، كل امة تسعى لتكوين

(١) الحضارات في الماضي والحاضر والمستقبل: يوري ياكوفيتس بورس كوزيك، ص٢٢٦.

امبراطورية، وهذا السعي يستلزم قضايا كثيرة فلا يأتي بالمجان ابداً، فمن مظاهر الامبراطورية ان تجعل نفسك اولاً والباقي لا شيء، وان لا ترى منافساً لك في كل شيء، الامبراطورية تعني الاحتكار في كل شيء حتى التفكير، وكثير من الامم اليوم تحب ان يفكر عنها غيرها، وهذه مؤونة سهلة وهدية كبرى لأصحاب الإمبراطوريات.

يمحى الانسان ويهان ويقتل من اجل الحضارة والعولمة والتوسع والتمدد، وصور الحروب في التاريخ واضحة على تمثيل هذه الحقيقة، كل هذه الاشياء هي صناعة للوهم وايقاع الانسان في الظلم والخدعة وسرقة كل شيء ثمين منه، ان سرقة الفكر كارثة ولكن الاكثر منها خطراً وجريمة هو ابدال الفكر وتوهيم الناس وتنويمهم.

قد لا يعرف الكثير منا ما للإعلام من دور كبير في صناعة الوهم، وقد لا نعلم ايضاً ان هنالك اشخاصاً يتحكمون بنا عندما نلتقي بهم، يقيدون كلماتنا بل وحتى افكارنا، فان اصعب الحالات التي يمر بها الانسان في الحياة تلك التي يكون بها مقيَّد الفكر، ولا تعد هذه حالة نادرة، بل الكثير يعيش حالة التقيد الفكري لكن بنسب متفاوتة، هذا التقيد في الفكر يصعب تجاوزه ان لم يكن الانسان منتبهاً، والاصعب ان لم يفهم الانسان بانه مقيد فكرياً، القيد

الفكري اصعب بكثير من التبعية والتقليد، وغالباً ما تكون نتيجته الى الخلود للمادة وعدم التفكير في شيء، لربما تصل الحالة ببعض الناس انهم لا يفكرون حتى بأنفسهم، ولا يسعون للاهتمام بشيء من هذا الشكل، مثل هؤلاء الافراد لا يهمهم ما يفعل بهم مقدم النشرة الاخبارية وغالباً ما يحبون التلقين، فيأخذون المعلومات دون تحقيق او توقف او تساؤل، فتُصنع لهم كل يوم عشرات من الاوهام، حقاً ان هنالك اشخاصاً في هذه الحياة وظيفتهم صنع الوهم للناس، صنع الكذب والخدعة، الذين يصنعون الوهم هم في الحقيقة لا يفهمون جيداً، وهم يخدعون انفسهم ايضاً، ومنهم من يتعمد ذلك ومنهم من يجهل بعض الشيء، واخطر هؤلاء من يتكلم بالحقائق الكبرى وبالقضايا المصيرية بعناوين مختلفة، ويتخذ من كل مسألة كبيرة قضية ومحوراً يعيش به، نعم، ان بعض الاشخاص يعيشون على الكلمات والتحريفات للحقائق، وسرعان ما يخدع المتابع، والمؤسف انهم حين ينتهون من هذه الاعمال يعترفون بهذه الممارسات والطرق والتمويهات، ولا شك ان بعضهم درس فن الجدل، او فن الخطاب ولغة التأثير في الآخرين وحركات الجسد، الاستعمالات غير المنطقية للكثير من الآراء والقضايا التي يريد ان يوصلها لمن يشاهده، اذ تبتنى على الكثير من المغالطات،

والتي يجعل منها دليلاً لما يطرحه، ولو تأمل كل من شاهده بدقة ودرس ذلك جيداً لاكتشف زيف ما يتناوله من قضايا او ما يسميها حقائق و ادلة، فمن تلك الحيل عندما يريد احد اثبات ظلم على احد او الصاق تهمة ببريء، تتجمع له صور عدة، ويكتب حوله اخباراً وهمية، ويلصق به كلمات لم يقلها، يأخذ من كلامه ما يناسب الحدث المصطنع ومن ثم يعرضه بصورة وثائقية تؤثر في المشاهد الى درجة كبيرة، مع استخدام العبارات المناسبة، بطرق مدروسة بدقة، كل هذه العمليات التي تحدث هي تغييب للوعي الانساني، وامرار ما يريده هؤلاء الى الناس، والهدف والمحصلة الشخصية فوق كل الاعتبارات.

لقد اعتاد الكثير منا ان ينظر الى كل شيء حوله بجمال، هذه النظرة لا تولد لنا صورة صحيحة دائماً، فالإنسان الذي يولد في الغابة يكون شديد الحذر حتى يكون ذلك جزءا من حياته ويعتاد عليه، ويبقى في امد طويل يصارع الخوف الذي يتملَّكه بسبب البيئة الوحشية التي يعيش فيها، تسجل لهذا الانسان نقطة الانتباه، وشدة اهتمامه وتفاعله مع محيطه، لكن في الوقت نفسه يقع في وهم كبير وهو عيشه في الغابة، فلو انتبه جيداً لخرج من معضلة الخوف بتركه للغابة والعيش في المدينة، لكن نظرته الجميلة لحياته وكل شيء حوله

هي التي ابقته في الغابة دهراً طويلاً، نظرته الجميلة هي التي اوقفته عن صناعة بيت يحفظه من كل شر وخوف، نظرته الجميلة الخادعة هي التي جعلته لا يهتم بمأكله وملبسه، وهذه طريقة أخرى لصناعة الوهم، بعضنا يصنع اوهامه بيده، عندما يكون متجمداً لا يسأل ولا يفهم ولا يدرس ولا يفكر ولا يعقل، والاخر من يكون تابعاً للوسوسة ومنقاداً لها، حتى يصاب بها، ويصعب عليه ان يتخلى عنها، فلا يمكنه ان ينام دون ان يفعل اشياء اعتاد عليها، ولا يمكن له ان يأكل الا وان يفعل اشياء غريبة، وحال الوسواسي معروف لا يمكن ان نناقش حالته هنا، لكنه يعد واحداً من اولئك الاشخاص الذين تغلب عليهم الوهم وانقادوا له، سواء اكان الوهم بدوافع ووساوس الشيطان ام بدوافع الانسان نفسه، ودون شك ان لهذه الحالات عواقب لا تحمد، ونهايات خطيرة، فمن سلم نفسه لهواه ضاع، ومن استأنس بخياله ولم ير غيره تعب واتعب غيره، وعاش في فوضى لا نهاية لها.

يمكن صياغة الموضوع بنقاط كي يسهل على القارئ مراجعتها:

١. ان صناعة الوهم تعد من اهم الوسائل التي تنفع الحكومات والمؤسسات المشابهة لها التي تسيطر من خلاله على جميع الافراد، وقد يختلف من جهة الى اخرى في الكيفية والنتيجة والمقصد، لكن

في نهاية المطاف الخاسر هو الفرد.

٢. قد يكون هناك فرداً صانعاً للوهم دون ان يشعر الجميع به، بل حتى هو نفسه، فان كل انسان يسعى للوصول الى القمة او الى مصالحه ويتخذ الآخر وسيلة لذلك يعد مشاركاً في صناعة الوهم.

٣. قد يمارس الاب صناعة الوهم داخل البيت، فيخدع كل من يسكن معه، يخدع الاطفال عندما يريدهم ان يخدموه، ويخدع زوجته بغية الحصول على مالها، لا سيما وان هذه الافعال غير مشروعة وليست صحيحة بنظر العقل والعرف، فالأب الذي يجعل مصلحته فوق مصالح اولاده واهله ويتخذهم مسلكاً للوصول الى ما تملي عليه رغباته وعواطفه، كمن يتخذهم من اجل ان يسترزق بهم فان ذلك وهم كبير اوقع فيه اسرته.

٤. قد يخدع الحاكم شعبه، والشعب الذي لا وعي له ولا ادراك ولا ارادة لديه سيكون خاضعاً للملك او السلطان فترة طويلة من الزمن، وقد يفكر غيره ليحرره من السلطان وجشعه، وبذلك يكون من صناع الوهم والخداع.

٥. اهل الخرافة يصنعون وهماً من اجل المال، وهذه مشكلة كبيرة كونها ترتبط بعقيدة الناس، فيسعى هؤلاء لان يبثوا خرافاتهم من

اجل الحصول على بعض الدراهم، تكمن خطورة هؤلاء في تسطيح عقول الناس ورفع نسبة السذاجة بين المجتمع وقد يأتون بأدلة على اقوالهم من الدين ويأخذون شواهد مختلفة من عدة قضايا، فيقع تحت تأثيرهم عدد كبير من الناس، يقع اللوم على الانسان نفسه قبل ان يقع على هؤلاء، فان امثال اهل الخرافات كأمثال الذي يسرق الناس ويظلمهم، وقد ظهرت افعالهم واقوالهم بشكل ملفت هذه الايام ويرجع ذلك لأسباب عدة، لعل ابرزها ضعف ايمان الناس بالمعتقد الصحيح وعدم صحة ايمانهم بنسبة عالية، والحاجات الملحة وكثرة الامراض والمشاكل الاجتماعية، فتضيق بهم الارض ذرعاً فيبحثون عمن يفرج كربتهم، فيتصدى هؤلاء لمثل هذه القضايا الهامة، وهم لا يملكون اية مؤهلات ولا ادلة لقيامهم بهذه الاعمال، اذ يعتمدون بأفعالهم على بساطة وعي الناس وقلة معرفتهم بهذه الامور، ولا يفعلون ذلك مع اصحاب الوعي ولا يناقشونهم فان امرهم يفتح بشكل ملفت، يتخذ كل واحد من اهل الخرافة مبدأ المعرفة والنور والكشف، يُظهر نفسه عالماً بكل شيء وبكل خفايا الانسان، ويخبر عن المستقبل رجماً بالغيب دون دليل وهدى، فيصدق الانسان ما يراه قد تحقق، ومن ثم يأتي فيصدق كل اقواله وافعاله، ومشكلة هؤلاء انهم يتسترون بالدين والتقوى والايمان فيخدعون الناس

لحبهم للدين وتمسكهم به، وبعد ان يعرف البعض كذبهم ودجلهم يغدون بالتشكيك في الدين وهذا ايضاً وهم جديد وقع فيه، فخطورة هؤلاء كبيرة، ولعل الكلام عنهم وبيان امرهم يحمل خطورة ايضاً، لكن اصلاح ما هو خطأ اولى من ان تخدع الناس وتسطح عقولها، فالشافي الاول هو الله ﷻ، وقد امرنا ان نأخذ بالأسباب الطبيعية، فنبحث عن علاج للمرض وليس عن انسان يعطينا كلمات لا اصل لها لا من كتاب ولا سنة نبي او امام، وقد يكذب بعضهم بإلصاق الاحاديث والكلمات التي يعطونها للناس بالدين، او قد يوعدون الناس بتحقق ما يريدون بالمستقبل اعتماداً على بعض الامارات التي يعرفها الانسان لو اطلع عليها جيداً، وهذه ليست مهارة بقدر ما هي خدعة من اجل الحصول على الجاه او المال، فلا اخبار عن مستقبل الانسان الا من الله ﷻ او من المعصومين الذين ارتضى الله قولهم وفعلهم، وباقي الناس سواسية في هذا الامر، فالنجاح اكبر من اخبار العراف، والفشل لا يجبره اخباره ايضاً، والتحريف بكتاب الله لا يجوز، ولا يحق لاحد ان يفعل ما يشاء بكلمات الدين ويلويها حيث تشتهي نفسه، فلم يوجد القرآن الكريم الا لهداية البشرية واخراجهم من الظلمات الى النور، ولم تكن من مهامه ان يخبر كل شخص بما سيتعرض له من موت او خسارة في العمل

او نجاح في الدراسة او ربح كبير وما شاكل ذلك من الصور، ولا تجد لهذه الاشياء اي اهتمام في كتب علماء الدين، فكل مافي الامر ان هؤلاء الجهال يخدعون الناس بها لاجل غايات دنيئة، يقول الله تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لهم مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لهم مِمَّا يَكْسِبُونَ**﴾[1]، ان في كل عصر اناس يحرفون الدين من اجل اهوائهم ومصالحهم وان تعددت وتنوعت الصور والاساليب، وهؤلاء يضرون انفسهم ولا يضرون دين الله، ويقع ضحية ذلك عدد كبير من الناس الذين يثقون بكل احد، ويثقون بكل من يتكلم معهم باسم الله ورسوله والمؤمنين.

٦. يخدع الساسة مواطنيهم بحجج كثيرة، واهم الغايات التي ينشدونها من افعالهم هي البقاء في السلطة امداً طويلاً، وقد يُشركونهم في معارك طويلة تذهب ضحيتها مئات الالاف من الارواح البريئة دون ذنب سوى تعصب الحكام واضطراب المصالح كالذي يحصل في كثير من دول العالم وما حصل كذلك في تاريخ البشرية.

٧. يصنع الوهم لدى طبقة كبيرة من الناس اصحاب الافكار الاحادية الذين يتسمون بالتطرف الديني، فهم لا يرون الحياة لاحد

(١) البقرة: ٧٩.

سوى لأنفسهم، ولا يرون الحقيقة في اي جهة سواء اكانت نسبية او مطلقة، يحشدون الناس الذين يتمتعون بتعصب كبير او بساطة في العلم وضعف في الثقافة والرؤية الصحيحة للحياة، ويجعلون منهم ادوات لضرب اي شيء يريدونه، وبعض هؤلاء متطرفون جداً، وبعضهم الاخر العوبة بيد قوى اكبر منه واذكى وادهى فتصبح المسألة مرتبطة بالسياسة الخارجية العالمية بعيدة عن الدين لكنها تجد امثال هؤلاء من يسعى لتشويه الدين اداة سهلة وقوية لضرب ابناء الدين فيما بينهم، وضعف الرؤية يوقع الكثير من الشباب اليوم في شباك هؤلاء، فتغسل ادمغتهم بحجة الحفاظ على بيضة الاسلام، ويفسرون لهم الآيات القرآنية بما تشتهي انفسهم وبالرواسب الفكرية الاحادية الضيقة، فيُعجب بهذه التفسيرات والتأويلات هؤلاء الشباب المغرر بهم، ويأتي بعضهم لشدة حبه للدين واندفاعه الكبير، ويراهم الناس الذين يهتمون بتراث السلف فيعجب بهم كثيراً، فان اكبر خدعة يمكن ان تخدع بها الناس ولا يشعروا بها عندما تجعل المخطط الذي تريد تنفيذه وراء كلمات الدين، وتجعل اسم الله ورسوله عنوان مخططاتك، فهذه المجاميع الارهابية التي تظهر بين الحين والاخر، تجعل الله شعاراً لها، وتتكلم باسمه وباسم الدين الاسلامي ليلاً ونهاراً وتجعل كل حركة تقوم بها لله ولرسوله

وللدين، مما يدفع الكثير للتصديق بهم مباشرة، نعم انها اكبر خدعة، وذلك لثقة الناس بالدين وتصديقهم بمن يتكلم بالدين، وكل المسألة تختصر بنقطتين:

أ. المجاميع الضلالية من رؤوس الفتنة والضلال وما يتبعهم من سياسات واجندات عالمية، وتصبح القضية اكبر مما يتصوره الجميع فإطارها العام يظهر فئوياً ومتطرفاً ومعزولاً الا ان ما خفي كان اعظم وادهى.

ب. ضعف الرؤية لدى من ينتمي اليهم، والوقوع بالوهم، وقلة الادراك، وهذه العناصر الثلاثة تعد من الاسباب الهامة التي تربط الشباب والكهول وغيرهم بهذه المجاميع الاجرامية المتطرفة، وهؤلاء القتلة يعرفون جيداً ان اتباعهم يتصفون بجهل عال، وبذلك يسعون الى ابقائهم بجهلهم وضعف ادراكهم، والا فلو تفتحت اذهانهم وارتفع وعيهم لهربوا هروب الرصاصة من بيتها.

والمشكلة الكبيرة ان عدداً من الذين لا ينتمون اليهم يصبحون ضحية بسبب الخلافات التي يبثونها بينهم، فيكثر سوء الظن والكذب فيما بين الناس والمجتمع بشكل عام وتصعد وتيرة العنف وتكثر المهاترات الكلامية ويكون المنطق دموياً ولا يجدون سوى القتل وسيلة للنيل من الاخر، واهم ما يميز هذه المرحلة الحرجة

طغيان فكرة التهجير والمحو، فكل واحد ينظر الى الاخر على انه عدو وانسان مبغوض لا يمكن العيش معه ولا يمكن الحوار معه او الالتقاء والتفاهم، هذه النتيجة الكارثية حصلت بسبب التطرف الذي بثه هؤلاء القتلة، والناس بدورها تتفاعل مع الاحداث، ولا ريب ان لهؤلاء المجرمين النصيب الاكبر، لكن هذه الحقيقة لا تبعد اللوم عن المجتمع وافراده والشخصيات المؤثرة فيه من طرفي النزاع، فلو كانت القلوب متماسكة والعيون مفتوحة لخطر هؤلاء الاوباش لما استطاعوا ان يزرعوا بذور التفرقة بين الناس، لكن الفجوات الموجودة بين ابناء المجتمع والبيئة الواحدة هي من ساعدت على نمو بذرة الطائفية والعنف والدم، والخاسر الاكبر هو المجتمع كله، وهذه الجرثومة اذا دخلت مكاناً افسدته وافسدت اكله، فهي اشد من المرض، فقد نحصل على الدواء الناجع لاي مرض، لكن اين نجد الدواء لقتل جرثومة الطائفية والتكفير والقتل؟

كل هذه الاحداث كانت بسبب عدم وعي الناس وادراكهم، والقليل منهم كان يتمتع بالادراك والحكمة وهؤلاء قتلوا او شردوا، فكان افراد المجتمع تنقصهم حكمة التعايش بسلام، والوعي بهؤلاء القتلة، فخدعوهم بدعاوٍ دينية واستقلالية، فكان عنصر الادراك مغيباً عن ساحة الناس فحصل ما حصل، ولو عادت التجربة من

جديد ولم يكن الناس بوعي عال، لحصل كما حصل سابقاً.

كل ما يطلب منا ان نعيش بتفكر وسلام وامان، ان نبتعد عن التطرف وكل ما يثير الفتنة بين ابناء الدين الواحد او بين ابناء البلد الواحد، ونجعل شعار الحب والتسامح هو الفعال والرمز في الحياة، ولا شك ان هنالك عقلاء من الطرفين لهم اصوات مهمة تدعو الى التعقل والحكمة بعيداً عن الضبابية والعيش خارج استار الوطن الواحد بدواعٍ ليست صحيحة ولا حقيقية، فطريق الوعي والادراك والفطنة والذكاء هو من يقودنا للعيش بكرامة وعزة وصحة.

يقول ديباك تشوبرا: «لقد اعلن قدامى الحكماء ان كل شيء في الوجود مصاغ من الوعي والادراك»[1].

٨. الشيطان اخطر صناع الوهم، يصنع لك الوهم بالوسوسة، ويجعلك تشك في كل شيء، ولا تؤمن بشيء، وفرق بين الشك الذي مصدره الشيطان وبين الشك الذي مصدره الاحتياط والحذر، وقد توعد للبشر بالإغواء والاطاحة بهم في كل مناسبة وفرصة يحصل عليها.

---

(١) جسد لا يشيخ وعقل لا يحده زمن: ديباك تشوبرا، ترجمة (رجا ابو شقرا)، ص٢٧٣.

نتائج الوهم

١. الوهم السم الذي يفتك بالخلية الفكرية والمعرفية للإنسان، اذا ما اضحى اليه فهو سينهي حياته ويعصف بها بعيداً عن الدنيا.

٢. يورث الضعف الشديد في شخصية الانسان، ويترك اثاراً سلبية لا تجعل الانسان ينهض منها بسهولة، وتسلب منه عافيته وترديه صريع الفراش.

٣. المجتمعات الانسانية تصبح ضحية سهلة اذا أُوهمت بشكل خطير، وتخسر الامة طاقتها بشكل ملفت جداً، والشواهد كثيرة جداً.

٤. الوهم يصنع من الانسان دمية تحركها المنظمات والمؤسسات، واغلب من يريد ان يربح المال بطريقة غير مشروعة، فيضعون الانسان هدفاً امامهم من اجل ان يصبح نقوداً كثيرة.

٥. ضياع الانسان وتلفه، وخسارة البشر بشكل كبير، وهذا العالم اليوم يشهد صراعات كارثية، كل يوم تنزف البشرية كميات

كبيرة من الدماء، لاجل غايات سفيهة ساذجة.

٦. تخلف الانسان وفقره معرفياً، وتبخر طاقاته، مما يجعله انساناً ضعيفاً غير الذي يريده الله ﷻ، وقد نهى الحكماء والعقلاء نهياً شديداً من ان يكون الانسان اسيراً للهوى والجهل والظلام والوهم.

٧. يخلق الوهم اجواء فوضوية كبيرة، تسبب هذه الفوضى ارباكاً كبيراً للمجتمع ككل، فلا يسلم من تأثيره احد، فالحروب التي تقع في البلدان المتقدمة تشمل الجميع، وقد يكون قانون ساذج يحمل امة كاملة خسارة كبيرة.

٨. يصبح الانسان مع الوهم قليل الادراك، فكلما اشتد به الوهم قل الادراك فبينهما علاقة عكسية تماماً، لذلك نجد الانسان الذي يتمتع بوعي عال يقل جهله والعكس كذلك.

٩. يبحث الانسان عن رقيه بعقله وتفكيره، ويتميز عن الاخرين بما يقدم مشفوعاً انجازه بالخلق الرفيع، ولا يحصل له الاندفاع نحو الرقي ما دام قابعاً بالجهل وواقعاً تحت تأثير الوهم.

١٠. يشكل المجتمع الذي يتمتع بوعي عال رقماً صعباً امام الذين يريدون به شراً، فلا يفكرون كثيراً بالاقتراب منه طالماً يتمتع بادراك قوي، فأول مهمة لهم ان يضربوا الوعي والادراك وثقافة

الناس وعلمها ومن ثم يفعلون ما يرغبون به.

١١. لا احد يتصور بان الوهم والجهل يرفع عن الانسان القيمة التي من اجلها يعيش الحياة ويحرص على اكمال مسيرته حتى النهاية، فلم يخلق الانسان ليكون جاهلاً او عبداً للناس، ان لم يكن عبداً لله لا شك انه قد وقع في وهم الشيطان.

١٢. يترك الوهم التخلف الكبير داخل الانسان، فالذات تكون معدومة من ابعاد مختلفة، وبالتالي فان هذا الحال سيغير الواقع الى ادنى الحدود الاخلاقية والانسانية والحضارية والنظامية ومختلف الامور الحياتية العامة، فتخلف الفرد هو تخلف للمجتمع بكل ابعاده، ومن يتأمل حال الدول التي تصاب بهذا المرض سيجد ان الدولة تخلفت بتخلف ابنائها، فالمجتمع العام هو ناتج مجموع الافراد، وهؤلاء الافراد كلما تمتعوا بأفكار وآداب واخلاقيات ونجاحات ستنعكس على المجتمع، وبالتالي يصبح مجتمعاً مثالياً رائداً ورائعاً، وكلما تمتع الافراد بأفكار سلبية وبنظم واطر سيئة وعادات تخلفية ادت الى صناعة مجتمع متخلف غير قادر على انتاج الخير والحب والرقي، ويخلق مجتمعاً غير فوضوي ونظامياً بدرجة كبيرة، وكلما تمتع الافراد بمستويات عالية من الوعي ظهر اثر ذلك بدرجة عالية.

١٣. من علامات الوهم التي قل من ينتبه اليها، الاقتداء السلبي، فالإنسان مفطور على ان يقتدي بغيره في مراحل مختلفة من حياته، ويكاد الجميع يتفق على هذه الحالة وهي عامة، ولا شك ان في الاقتداء فوائد كثيرة جداً اذا كان اقتداءً ايجابياً، وقد عبر عنه القران الكريم بالأسوة الحسنة كما في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا**﴾[1]، فمن يطالع هذه الآية ويتوقف عند قوله: ﴿**اسوةٌ حَسَنَةٌ**﴾ يجد ان حسنة مضافة الى الاسوة، فالأسوة والاقتداء امر مطلق يعم الخير والشر، لكن الاضافة او الصفة بينت وحددت تلك الاسوة ونتيجتها، ولا شك ان من يتأسى بالحسن يكون حسناً ومن يتأسى بالسيء يكون سيئاً ومن يتأسى بالتافه يكون تافهاً، ولا ريب ان التأسي حالة تشغل المجتمع اليوم بشكل كبير حتى وان اختلفت العناوين وضاقت المصطلحات، فالمجتمع يتأثر بشكل كبير بما يراه حوله ويتأثر بالرموز والمشاهير، وهذا التأثر اذا كان ناتجاً عن عاطفة وقلة وعي فانه سيترك اثراً سيئاً داخل ذوات الافراد، واما ان كان عن وعي وتعقل لا شك ان يجلب لصاحبه الخير ويدفعه لبناء نفسه وذاته.

---

(١) الاحزاب: ٢١.

نتائج الوعي

١. الوعي يرفع من قيمة الانسان ويجعله في مصاف المهذبين الرائعين الذين يفهمون الحياة بشكل صحيح، ويختلف كثيراً عن اولئك الذين يقعون ضحية الاوهام والخرفات.

٢. الوعي يتدخل في كل شيء في حياة الانسان، هنالك الوعي النفسي والوعي الذاتي والوعي الاجتماعي والوعي الاسري والوعي الامني والوعي الوطني، وغيرها من صور الوعي، فأهميته لا تتحدد في نطاق دون آخر.

٣. يدخل الوعي ضمن اهتمامات الاشخاص الذين يرغبون في تغيير واقعهم الى واقع ايجابي مليء بالخير والطاقة والجد والاجتهاد والعمل.

٤. تتحد قيمة الانسان بما يعلم، فالعلم اهم وسيلة لدفع ظلام الجهل والوهم، فلا تساوي بين الفرد العالم والفرد الجاهل، وذكر الفارق القرآن الحكيم بقوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ**

﴿وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

٥. من علامات الانسان الواعي اليقظة والحيطة والحذر ومعرفته بمختلف القضايا، وقد يعبر عنه بالبصير وصاحب النظرة الدقيقة، ويعبر عن ضعيف الادراك وقليل الوعي بالأعمى، كما تستشعر هذه المقاربة من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

٦. نوعان اساسيان للوعي، الوعي الفردي الذي يتأصل في روح الانسان وذاته ويصبح قضية كبرى وحاجة ملحة لا يمكن للفرد التخلي عنها، والوعي الجماعي الذي يأخذ هذه الروحية من ابناء المجتمع الذين يتمتعون بادراك عال ووعي كبير، هذا الوعي الجمعي تصبح فائدته كبيرة بالنسبة للأفراد الذين يتمتعون بوعي ضعيف، وبالتالي فان المجتمع ينصهر كله بهذه الارادة التي صنعها الواعون.

٧. لا ريب ان الامم المتقدمة اليوم في مختلف المجالات تتمتع بوعي عال جداً، على المستوى الفردي والجماعي، كوعي التعايش السلمي ووعي بناء الذات والثقة بالنفس، وقد ينقص عندهم

(١) الزمر: ٩.
(٢) الانعام: ٥٠.

الوعي من جهات أخرى ايضاً، كالوعي الخلقي والتربوي، ولكنه مغطى عليه بالوعي النظامي.

٨. قد يُغفل عن اهمية الوعي، وقد يراه البعض لا فائدة كبيرة منه، بيد ان فهمه للوعي هو من يجعله يعطي هذا الحكم، والا لو كان دقيقاً في فهمه للوعي والادراك وعرف كل معانيه بدقة لما حكم عليه بهذا الحكم، ان للوعي ابعاداً كثيرة جداً، لا يتقصر الوعي على ذهنية الفرد فحسب، او مدى ذكائه، بل هنالك وعي نظامي اي ان الافراد داخل المجتمع او المدينة او الدولة يتمتعون بالتزام كبير في النظام الذي تضعه الدولة او العرف السائد، ومظهر الالتزام بالقوانين العامة للبلد او المدينة علامة كبيرة من علامات الوعي لدى الناس، ولا احد يمكنه ان يقلل من قيمة هذا الوعي، وانظر ايضاً الى الوعي المعرفي والصناعي الذي تتمتع به بعض دول العالم الكبرى، ففي كل سنة تتقدم هذه الدول على غيرها بعدد الاختراعات الصناعية، فتتكون رؤية في كل مجال من مجالات الحياة لدى ابناء المجتمع، فالمجتمع الذي يريد السعادة يلتزم بأبعادها الكبيرة وبمختلف قضايا الحياة، ولا شك ان ارتفاع نسبة الوعي عند الناس في مقدمة ما تتمناه المجتمعات اليوم، بل كل مجتمع يتمنى ان ينمو فيه الوعي ولو بنسب متفاوتة.

٩. من فوائد الوعي ان يحصن الانسان معرفياً وقيمياً وخلقياً وتربوياً ونفسياً، فلا يقدم اي فرد من الافراد الى المعرفة او الخلق او التربية ما لم تكن في ذهنه فسحة من النور، هذا النور هو الوعي الذي يدفعه الى كل خير.

١٠. اذا امتلك الزوج الوعي داخل البيت فانه سيكون زوجاً مثالياً، يعرف متى يغضب ومتى يكون رحيماً ودوداً، وكيف يحل المشاكل باقل وقت، وكيف يحافظ على لسانه من هفوات الكلام، وكذلك الزوجة التي تتمتع بوعي عال فإنها تدير البيت بشكل رائع، تعرف اساسيات ادارة البيت وتعلم بما يحدثه الخلاف مع زوجها من مشاكل تتفاقم الى حدود غير مرغوب فيها، وكذلك يعتمد الاب على طريقة ذكية جميلة للتعامل مع اولاده، والتربية الذكية لا تأتي من فراغ، بل تخرج من عقل اب بارع وواعٍ الى درجة كبيرة.

بإمكان الاب ان يجعل البيت جنة من خلال بثه الحب والاحترام والثقة بالنفس داخل البيت وباستطاعته ان يجعله ناراً وجحيماً بسفهه وغلظته وشدة قسوته، فالبيت يعكس شخصية الوالدين، والاطفال يقتدون بآبائهم بنسبة عالية ويرونهم القدوة والاسوة، فإهمال الاب لشخصيته اهمال لأطفاله ايضاً، فان الانسان لا يمكنه ان يتصنع الخلق والتربية داخل البيت، فسرعان ما يكشفه

من حواله، وكذلك الام مع الاولاد والزوجة مع زوجها والعكس ايضاً، فالعائلة بمجموعها تحتاج الوعي الاسري والتربوي.

نتيجة الامر: ان الجميع بحاجة الى الوعي، المدرس والمعلم والطبيب والمهندس والفلاح والجزار والبقال والعامل، كل اصناف المجتمع وكل فرد من افراده، فالمدرس والمعلم بحاجة الى الوعي داخل الصف، وعليهما ان يدركا متطلبات العلم والحركة التعليمية وماذا يراد من كل واحد منهما من الواجبات والنظام المدرسي بشكل عام، ومعرفة أثر المدرس في نفسية التلميذ، ومعرفة دورهم الكبير في بناء المجتمع، وكذلك الطبيب فانه بحاجة ماسة الى الوعي في التعامل مع مختلف الحالات المرضية، ومعرفته بالتشخيص فرع من الوعي والمهنية العالية في فنه واختصاصه، وهو ادرى بما عليه من واجبات وقواعد مهنية واخلاقية وانسانية، الى آخره من الاصناف والمهن.

القرآن يدعو للوعي والادراك والفكر

اذا تأملنا جيداً في كتاب الله سنجد بوضوح شديد كيف يعطي القران الكريم الاولوية في آياته للوعي بأوصاف عدة، فان الكل يتفق على ان القرآن الحكيم نزل لهداية البشر وهذه حقيقة ناصعة يسجلها القرآن في اكثر من موضع من آياته المباركة.

والهداية تعني انتشال الانسان من الضلال والظلام الى النور والايمان، ولا ريب ان الضلال وهم ما بعده وهم، وعمى ما بعده عمى، يقول الله تعالى: ﴿**وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا**﴾[1]، وهذا تصريح شديد في ان الانسان التارك للإيمان ضال واعمى، اذ ان الايمان هو من يفتح القلب نحو الله ﷻ، والانصهار لإرادته وحكمته والتسليم لأمره، وقد بين الله ﷻ الكثير من طرق الوهم والخداع وان كان مصطلح القرآن الكريم قد يختلف عن اصطلاحاتنا اليوم فقد جاء في قوله تعالى: ﴿**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾[2]، يقرر هنا القرآن ان الحكمة والوعي والهداية والدين وكل عناصر الخير مع النبي الاكرم ﷺ وان كلمات اليهود وآراءهم ومعتقداتهم ما هي الا اهواء، وهذه الاهواء هي وَهْم وضلال، وهؤلاء لا يرضون بكل ما تفعله حتى تكون معهم، اي تخرج من نورك وعدالتك وحكمتك وديانتك ودعوتك الالهية ثم تلتحق بضلالهم ووهمهم، واذا اتبعتهم فقد خرجت من الخير والنور، والخارج منهما لا يدخل الا في غيرها وهما الضلال والوهم،

(١) الاسراء: ٧٢.

(٢) البقرة: ١٢٠.

فهم يتوهمون بانهم على الحق، او قل ان هذا الوهم جعلهم في عناد وشك وشرك، فكانت الآية صريحة جداً في بيان عقيدة اليهود التي يتمسكون بها، ومجموع ما يعتقدونه باطل لا يرضى به الله؛ لان الله ارسل رسوله ومعه التعاليم التي تضمن للبشر سعادتهم حقيقة، فمن تركه صار مع الواهمين ومن كان معه صار مع اهل الحق والحقيقة، فهذه من الآيات التي يستخلص منها القاعدة التالية: ان الحق اذا صارت بوجهه معارضة لا شك انها على ضلال، فما بعد الحق الا الضلال، ولا ريب انه وهم كبير قد صاغه الشيطان لهم.

ونهاية من يقع في الوهم غير مفرحة، ان لم يسارع في انتشال نفسه ويخرجها من التيهان والضلال، لنتأمل في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾[1]، هنا ترسم الآية جدلية الانسان المعاند الذي يشاقق رمز الهداية وعنوانها، والمشاققة على ابسط معانيها هي المخالفة، فالرسول يقول شيئاً وهو يقول خلافه، هو يريد لهم التوحيد الخالص من كل شرك وهم يريدون عكسه تماماً، وليس مجرد الخلاف يترتب عليه جهنم، انما الآية المباركة تضع قيد ﴿**مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ**

(١) النساء: ١١٥.

سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وهذا القيد يفسر بان الانسان يخالف عن وعي بان الرسول ﷺ على حق، وقد عرف ذلك جيداً، وفي هذه الحالة يتشكل عنده الوهم والضلال من وسوسة النفس الامارة بالسوء المطيعة للشيطان الرجيم، ولذلك نجد بان الآيات القرآنية دعت الانسان لان يتخلى عن هذا الوهم والضلال بواسطة التفكر والتفكير والعلم والاذعان للحق، والتأمل والتدبر، يقول ربنا ﷻ في كتابه: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[1]، الذين خالفوا الرسول وانكروا دعوته كان عليهم ان يتأملوه جيداً، ويتفكروا في قضيته بصورة دقيقة، لم يكن مجنوناً، بل كان سيدهم بالعقل والحكمة والخلق، ونلاحظ مدى حرص القرآن على التفكر والفهم في اهم قضية من قضايا الوحي، الا وهي النبوة، فان انكار النبوة يعد تهديماً للدين كله، بل حتى التوحيد الحقيقي يتزلزل في نفوسهم، فطالبهم بالتفكر، وهذه من الصيغ العجيبة والمؤثرة في النفس الى حد كبير (أوَلم يتفكروا)، انهم اذا كانوا عقلاء ومفكرين كيف يتجرؤون على تكذيب الرسول؟، حقاً انهم في وهم كبير وضلال بعيد، وهذا المنهج قد رسم بآيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا

(١) الاعراف: ٨٤.

بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾[1]، وهذه دعوة أخرى للتفكير وفي نفس الصيغة (أولم) فكان كل واحد ينظر لحالهم يتعجب، لمَ لا يفكرون ولا يتأملون؟ فهذه الكلمات تحمل بين طياتها دلالات كبيرة للذي يغلق عقله ولا يفكر ولا يهتدي، فلا اوضح من هذا الطريق، رغم ذلك انهم يقعون ضحية الوهم والتضليل.

ان دعوة القرآن الكريم للتفكير والوعي، هي دعوة علنية لمحو صنم الوهم من كيان الانسان وتهديمه وتحطيمه بمعاول الفكر والفهم، ومع هذه الدعوة العلنية للتفكر والتأمل، نرى اهل العناد والوهم يتهمون الدين بالتخلف والجمود، بينما جاء هذا النور من اجل ان يحررهم من عبودية الشك والوهم ووسوسة الشيطان.

اذن يمكن لنا ان نلخص دعوة القرآن الكريم للوعي والادراك بالنقاط التالية:

١. تشجيع القران الكريم المؤمنين على التفكر والتأمل والتدبر في آيات كثيرة، وهذا منهج جديد يطرحه القرآن من اجل رفع الوعي والادراك، ولم يكن التدبر في النصوص القرآنية فحسب بل هذا التدبر منهج في الحياة بشكل عام.

(١) الروم: ٨.

٢. ان القرآن عندما يدعونا للتفكر فانه ينظر الى ان الوهم والجهل في مقابل الوعي والادراك الذين ينتجهما العقل المتأمل المتفكر، وقد عرض هذه الحقيقة في مجموعة من آياته.

٣. لا يتحرر الانسان من الوهم اذا اصر على ان يكون مع الهوى، وقد بين القرآن الحكيم ان الذين يقبعون في الضلال هم يتبعون الهوى والميول النفسية والوسوسة الشيطانية.

ملامح منهج اهل البيت عليهم السلام
في رفع وعي الانسان

اهل البيت عليهم السلام هم الامتداد الصحيح لنهج القران الكريم، وكلامهم مع القران وبيان له، فهم يلتقون مع القران ولا يفترقون ابداً.

وعلى ضوء ذلك يكون المنهج الذي يضعونه منهجاً سليماً لا غبار عليه، وعند تتبع آثارهم حول ارشاد الانسان للخير نجد وفرة كبيرة من القواعد الرائعة التي تضمن للإنسان العيش بكرامة وهدفية عالية في هذه الحياة، فمن تتبع كلماتهم في هذا المجال يمكنه ان يستخرج ملامح منهجهم التربوي بشكل عام، وملامح المنهج الفكري والابداعي الذي يأخذ من الانسان محوره الاساس، فقد اتخذ اهل البيت عليهم السلام طرقاً عدة في اصلاح الانسان وفكر الانسان وسلوكه بالخصوص، ابتداءً بإرشادات النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وامير المؤمنين عليه السلام وظهر اثره السامي ومنهجه الرائع في حكمه ومواعظه ويمكن للقارئ ان يقف عليها بمراجعة نهج البلاغة وبقية المصادر الروائية، ولا ريب ان قلنا ان لاهل البيت عليهم السلام منهجاً رائداً في تطوير الانسان ورفع قيمته ودفعه للتكامل وبناء شخصية بشكل صحيح وقوي، حيث عالج اهل البيت عليهم السلام مختلف السلوكيات التي تصدر من الانسان، وبينوا الصحيح منها والخاطئ، ولا يمكن ان يحيط الانسان بكل ابعاد هذا المنهج ويسجله دون ان يوفر الوقت الكافي والسعة في الكتابة، فلا تحيط هذه السطور بذلك المنهج وانما تتكفل فقط في بيان ملامح ذلك المنهج الرائد في مجاله، سنستقرئ

النصوص الواردة عنهم عليهم السلام التي نتبين من خلالها ملامح ذلك المنهج:

١. عن أمير المؤمنين: «**آفة العقل الهوى**»[١]، لقد حث أهل البيت الاطهار عليهم السلام على العقل بصورة مكثفة وبينوا مكانة العقل وهذا الاهتمام ناتج عن موقعية العقل الحقيقية، وان الامة التي تفكر تتقدم كثيراً على غيرها، وهذا النص يبين ان العقل يصدأ ويتآكل كما يتآكل الحديد، وهذا المرض الذي يصيبه هو الهوى، والهوى هو وهم في حقيقة الامر والواقع، فالتعبير عن خطورة الهوى بالآفة يستبطن خطورته على الانسان وتفكيره.

٢. عن الإمام الصادق عليه السلام: «**العالم بزمانه، لا تهجم عليه اللوابس**»[٢]، العلم بما يدور وما يجري يضيف للإنسان وعياً كبيراً، فمن عرف ما يجري من حوله وعرف القضايا المختلفة لزمانه من الابعاد الاجتماعية والسياسية، ودرس شخصية الانسان وقرأ التاريخ وراجع احوال الماضين الى غيرها من القضايا، لا تخدعه حوادث الزمن، فيستطيع ان يفسر ما يحدث في الواقع، ويرجع كل جزء لكله وكل فرع لأصله، ومجموع القضايا التي يعلمها تترك في

(١) ميزان الحكمة: ج١، ص٧٧.
(٢) ميزان الحكمة: ج٤، ص١٥٣.

نفسه علماً فيسمى عالماً، والعالم لا تهجم عليه اللوابس ولا يخدع ابداً، فيعلو ادراكه وينمحي وهمه، وهذا النص الشريف يفتح لنا منهجاً رائداً في مجالات الحياة كلها، فهو يحثنا عن المعرفة والكشف والدرس والبحث، فهو اعطى صفة ثم اعطى نتيجة، كانت الصفة (العالم) وكانت النتيجة (لا تهجم عليه اللوابس)، الحكيم لا تهجم عليه خواطر الاوهام، ولا تلتبس عليه الامور، الالتباس يكون مع الجاهل والغافل الواقع في الوهم، اما العالم فانه يحمل نوراً بمثابة مصباح يحمله بيده يكشف له لوابس الطريق، الحامل للنور لا يقع في تيهان الظلام.

٣. عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**الركون الى الدنيا مع ما تعاين منها جهل، والقصير في حسن العمل اذا وثقت بالثواب عليه غبن، والطمأنينة الى كل احد قبل الاختبار عجز**»[1] الذي يقع عليه محور الكلام هو المقطع الاخير من النص الوارد عن امير المؤمنين عليه السلام: «**والطمأنينة الى كل احد قبل الاختبار عجز**» ولا ريب ان التوصيف في العجز هو ذم وليس مدحاً، فمفاد النص هو الابتعاد عن الثقة والطمأنينة باي احد قبل ان تتعامل معه او تختبره وتعرفه جيداً،

(١) نهج البلاغة: المختار من الحكم والمواعظ، بتحقيق السيد هاشم الميلاني، ص٥٨٥.

وهذه طريقة علمية في الحياة الانسانية، تنفع الانسان الذي يلتزم بها جيداً، حتى ان علماء الرجال يعملون بنفس مؤدى هذه القاعدة، فالراوي عندهم اذا لم يكن في حقه توثيق او تضعيف يسمى مجهول الحال، فلا يحسنون الظن به مباشرة الا بقرائن، وهذه القاعدة تحذر الانسان من الركون الى العاطفة او الاعتبارات النفسية المختلفة، ولا ريب ان هذه القاعدة تزيد من وعي الانسان الاجتماعي، فكل واحد منا يتعرض لحالات كهذه فيلزم عليه ان يعرف ما ينبغي فعله.

٤. عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**العلم مقرون بالعمل، فمن علم عمل، والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل**»[1]، قد يسأل من يريد ان يكمل شخصيته ويرفع من مستوى وعيه عن الطريق الذي يلتمسه، فيجاب خذ طريق العلم والمعرفة، فانه طريق الخير وبناء الذات وتحصيل الملكات، وسرعان ما يدخل الكثير في هذا الطريق ويفشلون، يا ترى ما السبب؟

ان النص اعلاه يشير الى حقيقة مهمة هي ان العلم اذا لم يعمل به يهرب ولا يستقر، فالعلم متلازم مع العمل وله علاقة وشيجة متماسكة، بل ان العلم مفهوم واضح وواقعه هو العمل، فقد ترى احدا يعطيك محاضرة رائعة عن التواضع ولا يملك التواضع او يذم

(١) المصدر نفسه: ص٥٨٠.

الحسد وهو حسود، فهذا هو العلم الذي لا ينفع صاحبه ولا يستقر كما عبر عنه النص بانه يرتحل.

٥. عن امير المؤمنين عليه السلام: «**ليست الرؤية كالمعاينة مع الابصار، فقد تكذب العيون أهلها، ولا يغش العقل من استنصحه**»[١]، النص يرشد الى استعمال العقل وضمانة نتائج العقل، فنهالك فرق بين ما يحكم به العقل وما يقرره وما يحكم به النظر وما يخدع به، فليس كل ما تراه العيون يكون واقعاً فقد يرى الضمآن السراب ماءً، وهذه قاعدة هامة في رفع وعي الانسان، اذ يعطينا الامام عليه السلام احد المفاتيح العامة في التعامل مع مختلف القضايا في هذه الحياة، وهو تأكيد على دور العقل في حياة الانسان.

(١) نهج البلاغة: المختار من الحكم والمواعظ، بتحقيق السيد هاشم الميلاني، ص٥٦٨.

مفاتيح الوعي

١. البحث: يعد البحث واحداً من اهم مفاتيح الوعي، اذ يتمتع الانسان الباحث بوعي يختلف كثيراً عن ذلك الذي لا يمتلك هذه الخصوصية، ويفتح البحث آفاقاً متعددة للإنسان، ويروي له ظمأه العلمي والكشفي، البحث للإنسان بمثابة العين للبصير، فلا يتوقف ولا يكل ولا يمل، فمن صفات الانسان الواعي سيره بشكل دقيق في هذه الحياة نحو الهدف والغاية، وسلوة الانسان اليوم في هذا العالم هو البحث والمعرفة وحب العلم، ان البحث يفتح الافاق المتعددة للإنسان ويرسم له الواقع بصورة حقيقية بعيدة عن الوهم والخيال، ولا يتوقف البحث على جهة واحدة، بل يدخل في اغلب مفاصل حياتنا، قيمة البحث لا تتحدد ما لم يدخل الانسان مضماره ويعرف الفوائد الكبيرة له.

٢. الايـمان: الوعي قلب الحقيقة وعنوان الانسان في هذه الدنيا، وجناحه الذي يحلق به الى اعالي الامور، والبسمة التي تُرسم على ثغره والامل الذي يسكن قلبه، كل هذه المعطيات لا تتم دون

الايمان. الايمان يفتح المغاليق ويرقي الانسان نحو المعالي ويجعل له الامل الكبير وينسيه الآلام والمآسي والمحن ويوجهه نحو الله، اليأس يزرع له حب الخروج من الدنيا والذهاب لعالم لا يعرفه ولا يريد معرفته، اليأس يقدم الانسان الى الانتحار والتخلص من هموم الحياة، لذا نجد الايمان المحفز للإنسان على ان يكون عنصراً فاعلاً في الحياة منتفعاً من خير الدنيا عارفاً شاعراً مهذباً متقيداً بقوانين الدين. والايمان جزء من منظومة الانسان الفطرية، فالإيمان حاجة ملحة لو تسلح بها الانسان لتغيرت حياته، ويمكن عده احد العناصر التي تدفع الانسان للوعي، حيث تتشكل عنده رؤية شاملة عن الحياة كلها والكون ومدبر الكون الى تفاصيل كثيرة جداً.

٣. التعقل: جوهرة الانسان عقله الذي ركبه الله ﷻ فيه، وتمايز الانسان عن الحيوان به، اذ هو موصل الانسان لكل خير ورقي وتكامل، ولولا العقل لما اصبح الانسان في تقدم ورقي وتكامل معرفي وثقافي، وبواسطة العقل تكشف الظلمات والجهالات، ابرز شخصيات العالم كانت عاقلة الى درجة كبيرة، وامتاز كل واحد منهم بالتعقل والتدبر، ووصلوا الى ما هم عليه من الشأن والمكانة بفضل عقولهم وفكرهم ومنطقهم، العقل يدفع الإنسان لمعرفة علل الاشياء، والتعقل يعني الحكمة والبصيرة.

٤. الجدية: كثيرة هي اصـداء الحياة، وكثيرة هي الثرثرة والفوضى، وعدد لا بأس به من المهرجين يجوبون الاديرة والاماكن، وضحايا التفاهة يشكلون رقماً كبيراً، كل هذه الصور تقتل الجدية، والقصد الصحيح للعيش بكرامة في هذه الدنيا، صحيح ان الدنيا دار لعب وتفاخر وزهو، لكنها دار كسب وخير وعمل للجادين من الناس، هذه الدنيا جمعت الانبياء والصلحاء وكذلك الفجار والظلام واهل الضلال، تميز اهل الحق عن أهل الباطل بالجدية والقصد، اذ هما يشكلان رقماً كبيراً في رفع الوعي.

كلمات

١. كي لا ننخدع علينا ان نرفع من وعينا، ولكي نفهم الحياة علينا ان نرفع من وعينا، ولكي لا نكون فريسة للظنون والمشاكل علينا ان نرفع من يقيننا.

٢. امسح صدأ الوهم الذي يكسو العقل، ونظفه بالتعقل والتفكر والتدبر، فان التراثيات الخاطئة تشكل حاجزاً أمام رقي الانسان ونمط تفكيره.

٣. رحلة الانسان الفكرية في هذه الحياة مكلفة ومجهدة وصعبة، رحلة العقل غاية في الاهمية، فمن ترك ذاته وعقله فقد أهمل أعز ما يملك، وهذه لوحدها مشكلة كبيرة في حياة الانسان.

٤. اذا ما أردنا ان نصبح في رقي دائم علينا ان نبذل الجهد الكافي لبلوغ الرقي وهذه الدرجة الاولى، ولكن الدرجة الكبرى هي محافظتنا على الرقي، ولا تأتي خبرة وفكرة المحافظة على الرقي اذا لم نتسلح بالوعي.

٥. وعي المشكلة ووعي المصيبة ووعي النهج ووعي الطريق ووعي العمل ووعي المجتمع، كل هذه المفاصل بحاجة الى اتقان، يمكننا ان نحل مشاكلنا لو امتلكنا وعياً لحل المشاكل، يمكننا تخفيف المصائب لو امتلكنا وعياً في هذا المجال، كل حركة بحاجة الى وعي وفكر وقاد.

٦. تهذيب النفس وتغيير السلوك وتقويم الذات وتنميتها، بحاجة ماسة الى الوعي، هذه القضايا يقع الوعي في مقدمتها، ان لم تمتلك وعياً فلا يدفعك احد غيرك لتطوير نفسك.

٧. عندما تمتلك وعياً ستكون بخير، بأمان، برقي، بواقعية، بمعرفة، بقوة، بيقين، بصبر، بجد، بعزيمة، وعندما تقع في شباك الجهل ستكون بشَرٍّ، بتخلف، بتراجع، بقهر، بألم، بفوضى، بشكوى، بتيهان.

٨. كل واحد منا يفهم ذاته ويجيد فهم نفسه، والانسان على نفسه بصير، معرفتك بنفسك دليل على وعيك ومدى انتباهك وحرصك الفكري والسلوكي.

٩. الوعي مسألة نسبية، وقضية موضوعية متنوعة، فهنالك من يمتلك وعياً سياسياً لكنه لا يمتلك وعياً اجتماعياً، وهنالك من

يمتلك وعياً اقتصادياً لكن وعيه بسيط وهنالك من يكون اعلى من وعيه، فهذه الفوارق ملاحظة في هذا الموضوع.

١٠. واحدة من اكبر المشاكل التي تواجه الانسان حين يصبح متعصباً لرأيه، ولا يرى للآخرين اي صواب وفضل، مما يشكل عقبة كبيرة بينه وبين الاخرين، مشكلة هكذا انسان ان يعيش حياته دون وعي فكري وثقافي وسلوكي.

١١. يزداد الانسان وعياً حين يتأمل كل شيء ويزداد جهلاً حين يكون وقعاً تحت تأثير الوهم، فاذا لم يدفعك عقلك ووعيك لبناء ذاتك وتطوير نفسك لا ينفعك احد.

١٢. لقد كانت مهمة الانبياء هي جلاء وهم الناس ورفع وعيهم، وتطوير ذكائهم وذواتهم وهدايتهم من الضلال(وهم الايمان) الى الهداية (وعي الايمان).

١٣. الواعي يتأسف على كل لحظة تفوته دون ان يستغلها في الصورة الصحيحة، والواهم يرى الحياة لعباً وزينة وتفاخر بالأموال والاولاد.

١٤. الواعي يمسك زمام الامور، ويمكنه ان يصل الى الحقيقة باقل كلفة، ولا يحيد عن الصواب، ويسعى لارضاء ذاته وفكره.

١٥. الواعي يكون متعطشاً للمعرفة والعلم باستمرار (ناهمان لا يشبعان، ناهم العلم، وناهم المال) والواهم لا يشبع من المادة ولا قناعة له في الحياة مع ان القناعة كنز لا يفنى لكنها لا تأتي لشخص واقع تحت تأثير وهم المال ووهم الجوع.

١٦. يتمتع الحكيم بوعي عالٍ، بخلاف السفيه وخفيف العقل والرؤية فانه يتمتع بجهل عالٍ ووهم كبير، وهذا من اجلى الفروقات بين الوعي والوهم.

١٧. حين تفقد عقلك وفكرك وتصبح تابعاً لكل من هب ودب، فانه لاوعي لك ولا بصيرة، حتى ان الدين نفسه يرفض للإنسان ان يقلد في اصل الاعتقاد، فغير صحيح ان نرى الناس توحد الله ونحن نتبعهم دون ان يثبت لنا ذلك بالدليل؛ وذلك لان الايمان عن طريق التقليد سوف يكون ايماناً متزلزلاً يفقده الانسان لأدنى شك يقع فيه.

الخاتمة

الحديث عن الوعي والوهم ورقي فكر الانسان من ألذ الاحاديث، ومعالجة هذا الموضوع بحاجة الى فكر وعمل دؤوب، والحركة الاجتماعية اليوم تتطلب من الباحث والمفكر والمثقف ان يدفع بنفسه وفكره لخوض تجربة الاصلاح الذاتي والفكري لأبناء المجتمع، فان الافكار الخداعة او الجمود المعرفي والثقافي لا ينتظرنا الى ان نصحو كي يداهمنا، كل يوم يقدم الجهل رجالاته وسجلاته من اجل السيطرة على وعي الانسان وثقافته وشخصيته، لذا جاء هذا الاصدار من سلسلة بناء الشخصية وهو يحمل رسالة الوعي واحقيته ونوره لتهديم ظلام الوهم وكشف خطره على واقع الفرد والامة، بتفصيل وبيان يتناسب وذهنية مختلف القراء، راجياً من الله ﷻ ان ينفع به اخوتي الكرام، ويوفقني لكتابة ما ينفع الناس بنية خالصة لوجهه الكريم.

المحتويات

المقدمة	٧
مفهوم الوعي	٩
لماذا الوعي؟	١٧
اثر الوعي في تكوين الشخصية الناجحة	٢٧
كي لا ننخدع (الوهم)	٣٣
مصادر الوهم	٣٩
اولاً: الجهل	٤٢
ثانياً: الجمود	٤٤
ثالثاً: التوارث والتقليد	٤٦
صُنَّاع الوهم	٥٥
نتائج الوهم	٧٣
نتائج الوعي	٧٧

القرآن يدعو للوعي والادراك والفكر ٨٣
ملامح منهج اهل البيت عليهم السلام في رفع وعي الانسان ٩١
مفاتيح الوعي ٩٩
كلمات ١٠٣
الخاتمة ١٠٧